من جماليات المفردة القرآنية (قراءة لتيار الوعي في القرآن الكريم) "المجرمون" نموذجا

سحر فتحي حجازي
أستاذ البلاغة و النقد المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب / جامعة حلوان
saharhegazy91@gmail.com

تاريخ الإرسال: ٢١-٣-٢٠٢٣
تاريخ المراجعة: ١٢-٤-٢٠٢٣
تاريخ القبول: ٢٨-٣-٢٠٢٣
تاريخ النشر: ٣٠-٤-٢٠٢٣

المستخلص :

عني هذا البحث بدراسة المفردة القرآنية في تخطيها موات المعجم، ووضعها في السياق لتدب فيه الحياة، حيث ينبع جمال تلك المفردة من مصدر إلهي، أخرج الكلمات وقد سرت في الآيات غاية في التلاؤم والانسجام. يقف البحث على جمالية تلك اللفظة التي تم توظيفها في السرد القرآني كأداة ناقلة لجملة معان و إيحاءات، إذ تنفتح على آفاق شتى من بينها مستويات ما قبل الكلام من الوعي بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات، و هو ما يعنى به هذا النمط الفني الموسوم بتيار الوعي . فعبر قراءة فاحصة لتمظهر هذا التيار في النص القرآني، يتوفر الناظر على ألوان من الوصف و التداعي الحر أو التذكر و المناجاة و المونولوج، وآليات استرجاع و استباق زمني . حيث تعتمد هذه التقنيات كوسائل إبراز التجربة الإنسانية الداخلية، و أنماط تعبير عن الانسياب المتواصل للأفكار و المشاعر في الذهن، متحررة من شروط الحبكة التقليدية، مما يوسع المجال للترميز، حيث يتم الاعتماد على وعي المتلقي و قدرته على استقبال الكلمات و فك شيفراتها، و تفسير الرموز، و الوصول إلى الروابط الخفية .و قد تم انتخاب فئة (المجرمين)، و هي الفئة الأكثر ضلالا كما بدا على امتداد النص القرآني، نموذجا للفحص و التطبيق .

الكلمات الدالة : جماليات المفردة القرآنية/ تيار الوعي / السرد القرآني/ المجرمون /في الدنيا/ في الآخرة.

المقدمة

تنبثق جمالية المفردة في النص القرآني - تارة - من تخطيها المجال المعجمي وتحليقها في فضاء الدلالات الهامشية، وليس نص أبدع من النص القرآني في هذا الميدان، إذ لا تكتفي المفردة فيه بجملة ما تحمل من مدلولات، فتتجاوز إلى سعة الإيحاء، حين تشحن بصفات هامشية، لتغدو رهينة تلك الحالة الشعورية، فتكسر قيود الدلالة وتتعداها لإحداث درجة قصوى من التأثير في المتلقي .

ثم تنبع جمالية تلك المفردة – تارة أخرى – من ازدواجية أدائها ، إذ هي في غضون ما تسعى إليه من توليد الانجذاب وخلق روح الانسجام بين النص ومتلقيه، حين تخاطب فكر المتلقين و مشاعرهم على اختلاف المشارب و تباين الأهواء، بغية إحداث أعلى درجات التأثير و الإقناع ، فإنها على صعيد آخر ناقل بالغ الدقة للمحتوى الذهني والنزوع النفسي للشخصيات التي يتعرض لها النص، أيا ما كان موقعها على مداره.

ومن هنا أمكن العبور بالمفردة القرآنية إلى ميدان تيار الوعي، الذي هو نمط فكري يعتمد على إبراز التجربة الإنسانية الداخلية، من خلال تقديم محتوى الشخصيات النفسي والذهني التي يعرضها النص، حيث تنساب أفكارها ومشاعرها على امتداد السرد، الذي تمثل فيه الشخصية العنصر الفاعل، وقد تجردت من ملامحها الجسدية، فلا نكاد نجد لها مؤشرات، بينما قام النص بتحريرها والوقوف على أبعادها من خلال عدة مستويات، من أهمها هذا المستوى الذي يتم عبره تصوير العمليات الذهنية و أجوائها الغامضة و عرضها في حالات فيضانية و طبقات شعورية عميقة .

وقد توقف البحث لدى شريحة خاصة لها سماتها الداخلية بالغة التعقيد، وقام بإفراغ مخزونها الانفعالي، وإبراز الجوانب الخفية و المظلمة من حياتها الباطنية و ما يختلج فيها من مشاعر و أفكار، ورصد وعاءها الذهني الذي يتشكل بفرادة ضمن جملة الفئات الضالة، و ذلك من خلال تتبع السرد الوصفي القرآني لشخصية المجرم .

إذ تتبدى خصوصية تلك الفئة من أهل الشرك والضلال، بما اتسمت به من جملة خصائص و صفات، و بما بشروا به ، دون سواهم، بالنار وهم بعد ما يزالون على قيد الحياة، كما تبدو حيث لا تقترن لفظة (المجرمين) في سياقها، على امتداد النص القرآني، بألفاظ التوبة والعفو والرحمة، إضافة إلى خصوصية بعثهم ونشرهم وتلقيهم الحساب و سوقهم إلى العذاب ..

تقوم الدراسة بالتعرض لصفاتهم العقلية و أحوالهم النفسية في لحظات انسياب الوعي، و تدفق المشاعر في علاقتها بالوسط المحيط، فيما صب في قالب الأحداث، إذ يتم ارتياد عالم المجرم الداخلي في ارتباطه الوثيق بالعالم الخارجي الذي يفرض ذاته بقوة ، من حيث هو منطلق أفكاره و مشاعره .

و قد انقسمت الدراسة إلى شقين :

أولا : الشق النظري، فيه يتم التعرض لموضوعات :

١ ـ جماليات المفردة القرآنية .

٢ ـ تيار الوعي في السرد القرآني .

٣ ـ المجرمون في القرآن الكريم .

ثانيا : الشق التطبيقي ، و فيه تتم دراسة تيار الوعي في النص القرآني في إطار سردي يتألف من عنوان و فصلين .

أولا : الشق النظري :

١ـ جماليات المفردة القرآنية

المفردة هي هذا الكائن الذي يسهم في صناعة فن القول، هي وحدة كلامية ضمن مجموعة وحدات تشكل الجملة التي هي اللبنة الأولى في بناء النظم، هي جزء المعنى تلتحم بسواها ضمن الأسلوب فتنتج المرامي الإنسانية و الاجتماعية و النفسية ...

و للمفردة القرآنية خصوصية في الأداء تتجاوز بها حياد المعجم لتكتسب فرادة دلالتها ضمن السياق، إذ هي فيه زمام المعنى وروحه التي بها يسكن و يستقيم، بما تحمل في طواياها من معان وإيحاءات، فالمفردة في كيان النص حياة و تاريخ، تتحول بموجبهما من مدلول أولي بسيط إلى جملة معان تتفرع لتتوغل النص و تمتد في شعاب النفس .

هي صدى النفس تلبس قطعة من المعنى فتستأثر به، ثم تغدو كالقطعة في النسيج، يخرج بها منسجما متسقا متآلفا، إذ اللفظة القرآنية " تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها علي حسب ترتب المعاني في النفس" [١]، و بالمفردات صار القرآن معجزا و قد "جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمنا أصح المعاني "[٢]، حيث يحتمل القرآن بإيجازه و دقته البالغة جملة إشارات تصدر عن كلماته، و ما تنتجه بأدائها الفني الزائد عن معناها الظاهر .

تلك هي المفردة القرآنية، فأنى يمكن تلمس جمالياتها ؟ .. أحيث تنساب نغما و إيقاعا ؟ أم حيث تتمثل صورا و ألوانا ؟ أم حيث تدب فيها الحياة وتموج تدفقا و حيوية و حركة ؟ أم حين تبارح المعقولات بها دائرتها إلي دائرة المحسوسات شما أو ذوقا أو لمسا ... ؟ أم حين يقع بها التجسيم والتشخيص فتغدو العلاقات بين الكلمات سبيلا لطرح المعاني البديعة وتصويرها ؟ أم حين تصب في قالب صيغي محدد لا يتوافر في غيره جملة ما يحتمل من المدلولات ؟ أم في وضعها ضمن التركيب إذ تتملى وجوه النظم بذوق فريد، ما بين اسم وفعل، ونكرة ومعرفة، وتقديم وتأخير، وخبر وإنشاء ... ؟، أم في اختزانها واحتمالها جملة من المعاني والدلالات ؟ ...

أم ترانا نقف بتلك المفردة علي ناصية النفس الإنسانية، إذ تتخطى أسوار المشاعر الدفينة، لتعبر عن الأفكار التي تستولي علي المرتكزات الروحية للبشر، فتتبدى جمالية المفردة حيث يضفى عليها ضروب من المشاعر، و صنوف من الوجدانات، إنه عالم من "جمال نفسي للقلب فيه النصيب الأكبر، هذا الجمال ينشأ عن علاقة المفردة بالموضوع، أي علاقة الدال بالمدلول، وتفردها بالموضوع واستيعابها له و اتسامها بالغاية القصوى في التأثير من خلال صياغتها وظلالها الخاصة في القرآن، و إيجازها للمعاني الكثيرة، ورفعتها في مخاطبة الإنسان، وهكذا نجد أن جمال المفردة القرآنية تصويري وصوتي وفكري ومعنوي" [٣] .

٢- تيار الوعي في السرد القرآني

أما تيار الوعي فمصطلح ارتبط بداءة بعلم النفس، حيث استعاره مبتكره [٤]، بعد أن اكتشف الشبه بين التغيرات التي تحدث في حياتنا الداخلية وتجديد المياه في مسار النهر، معبرا عن الانسياب المتواصل للأفكار والمشاعر داخل الذهن" [٥]، فالجامع بين حالة المياه في النهر والمشاعر والأفكار في الذهن هو هذا التدفق والجريان الممتد اللانهائي الذي يعتريه التغيير باستمرار .

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني :٤٢، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ .

(٢) بيان إعجاز القرآن، الخطابي :٢٧، مطبوع ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٨ .

(٣) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف :٢٠، دار المكتبي، سوريا – دمشق، ط٢، ١٤١٩- ١٩٩٩ .

(٤) هو الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي " وليام جمس " الذي ظهر المصطلح لديه للمرة الأولى في سلسلة مقالاته (حول بعض إسقاطات علم النفس الاستبطاني) التي نشرت في مجلة مايند Mind عام ١٨٨٤، وأعيدت طباعتها في كتابه " مبادئ علم النفس " .

(٥) القصة القصيرة بين النظرية والتقنين، أنريكي أندرسون أبرت :٢٩٠، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة صلاح فضل، المشروع القومي للترجمة ، د.ت .

إن الوعي الإنساني هو عملية تطور وتشكل لا تتوقف فليس لدى كل إنسان هذه الشخصية الثابتة، ولا الهوية الواحدة، إنما يملك الإنسان " شعورا يفيض بضروب التغير والتقلب والتدفق والتفاعل عبر تيار الذكريات والانطباعات الحسية والصور والتوترات "[١] .

وهو تيار وليس بسلسلة أو تقاطر بما يضمن التيار من التدفق والاستمرارية والفيضان فمفهوم تيار الوعي علي هذا يتحدد في استيعاب التجارب الحسية والشعورية " فهو يضم كل ما هو عقلاني وغير عقلاني، ما هو انفعالي، وما هو مرتبط بأعمال العقل والنسيان والذاكرة " [٢] .

و بهذه الكيفية انتقل تيار الوعي إلي ساحة النقد الأدبي، حين استعمله النقاد لوصف نمط حديث من السرد يعتمد الشكل الانسيابي للذهن، فهو نمط فكري يعتمد علي إبراز تجربة الإنسان الداخلية، عبر تقديم محتواها الذهني و النفسي، ليتمظهر علي شكل انسياب متواصل للأفكار علي امتداد السرد ، الذي يعتمد علي شخصية معينة تسرد ذاتها وتسرد سواها ضمن إطار زمني مضطرب .

لقد كان لتيار الوعي تأثير كبير في بنية الرواية، فقد رسم أعمق العواطف الإنسانية، و شرح مفاصل النفس البشرية، و أبان عن إشاراتها العميقة السرية و الرمزية، حيث تظهر تقنية تيار الوعي بأنه منهج للتحليل النفسي تتمظهر موضوعاته في جسد القصة، لكشف أعمق أعماق النفس البشرية "[٣].

و لعل أسرع ما تعرف به رواية تيار الوعي، هو مضمونها فذلك هو ما يميزها، لا ألوان التكنيك فيها، و لا أهدافها، و لا موضوعها، و لذلك يثبت بالتحليل أن الروايات التي يقال عنها إنها تستخدم تكنيك (تيار الوعي) بدرجة كبيرة هي الروايات التي يحتوي مضمونها الجوهري على وعي شخصية أو أكثر "[٤].

و من هنا تنصب العناية في تيار الوعي على مضمون السرد لا علي ألوان التكنيك، فالسرد الذي يحتوي مضمونه الجوهري وعي الشخصية، يندرج تحت تيار الوعي، هذا التيار الذي قد يأتي عبر أسلوب التسلسل العفوي، و قد يتشكل عبر تقنيات سردية كالوصف، والمناجاة، والمونولوج ، و التداعي الحر ...و هي تقنيات يتم إعمالها في إطار السرد الذي يعيد هيكلة الأذهان و يؤهلها لاستقبال حكي يتنقل بين الزمان و المكان بصورة فريدة .

أ- الوصف

طالما انصب الفهم علي كون الوصف لا يتعدى الزينة، و الكشف عن ملامح الشخص من الخارج، أو هو تقديم لتأثير مباشر أو غير مباشر في تطور حدث ما، أو ربما يتوقف لدي الإيهام و حسب .

ولكن الحقيقة أن النقد العربي القديم قدم تعريفا للوصف، فيما ذكر قدامة بن جعفر في نقد الشعر فقال: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر الشعراء إنما يقع على

---

(١) قراءة في الرواية (مدخل إلي تقنيات التفسير) روجر ب هينكل :٩٦، ترجمة صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.

(٢) جماليات اللغة في القصة القصيرة (قراءة لتيار الوعي في القصة القصيرة السعودية)، أحلام حادي :٣٣، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤ .

(٣) التقاء الأدوات الفنية بين القص القرآني و القصة الحديثة، نجاح سراج، مجلة آداب و فنون، موقع آداب و فنون، ٢٠٠٦ - ٤ -١٦ .

(٤) تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري :١٦، ترجمه و قدم له و علق عليه محمود الربيعي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ .

الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها " [١] .

الوصف في تيار الوعي ليس غايته الوصف المجرد ، ولكنه يأتي لإضافة شيء يكون مفيدا في السرد أو لتقوية جانب من جوانبه، فليس الوصف إذ ذاك إلا وسيلة وليس هدفا .

ب- المونولوج الداخلي

المونولوج الداخلي تكنيك يقدم من خلاله المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي، ومن ثم فهو يهتم بكل عمليات الوعي ومحتوياته وهو "غير متكلم به جزئيا أو كليا، وذلك لأنه يقدم محتوى الوعي في مرحلته المكتملة، قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام عن قصد" [٢].

فالمونولوج أداة فنية تعبر بها الشخصية عن أفكارها الباطنية بصوت غير مسموع، تتدرج عملية التعبير هذه بشكل منطقي لأنها وليدة اللحظة التي تقدم الشخصية فيها محتواها النفسي، ما يعني أن المونولوج مرتبط بالإطار الفكري العام ارتباطا منطقيا . هذا الكشف الداخلي للشخصية يتم بالتوازي مع سبر أغوار حالتها الشعورية ويبين في اتصالها مع واقعها الخارجي عبر سعيها إلي عرض همومها وأمانيها وكل خلجات نفسها المتعلقة بالحياة والناس "[٣] .

وهو إما مونولوج داخلي مباشر أو غير مباشر، أما المباشر فيكون هناك حيث لا يتدخل السارد مع عدم افتراض وجود سامع، فإذا تدخل السارد يكون محدود الدور فلا يتعدى الإرشاد والإشارة متمثلا في عبارات من مثل : قال كذا، فكر علي نحو كذا، وربما بإضافة تعليق توضيحي .

أما المونولوج الداخلي غير المباشر فيختلف عن المباشر من حيث ضمير المتكلم وضمير الغائب، فبينما المباشر يأتي المونولوج فيه علي لسان المتكلم، فإن غير المباشر يكون عن طريق ضمير الغياب، بحيث يتمثل الفرق الجوهري بين المونولوجين أن المباشر يوثق عرى التواصل بالمتلقي حين يلغي مسافة الحضور التي يتدخل السارد في مساحة رئيسة منها إذ يستخدم وجهة نظر الغائب لنقل وجهة نظر المتكلم، فإذا كان المونولوج الداخلي المباشر هو حديث الفرد الذي يدور بين الشخصية وذاتها يتلقاه المستقبل عبر ضمير الأنا، فإن غير المباشر هو حديث "يمتزج فيه كلام السارد وكلام الشخصية المتحدثة بحيث تبين مظاهر صوتين متداخلين في العبارة السردية الواحدة، صوت السارد وصوت الشخصية صاحبة الكلام" [٤].

ج - المناجاة

يعنى تيار الوعي بمناجاة النفس حين يستبطن ما يرقد تحت السطح، وهو تقنية تقوم علي فكرة التحدث علي انفراد مع افتراض وجود جمهور خاص ومحدد، حيث تسبغ هذه التقنية روح الصدق الفني، حين تنقل الأداء كلمة ومعنى إلي الشخصية بغية إقناع المتلقي بموضوعية عملية السرد، بينما يقوم السارد باستبطان الشخصية وتفريغ محتواها الذهني الذي يتدفق في سيلان مباشر فوري .

ويختلف هذا التكنيك عن المونولولج الداخلي في أن المونولوج يتحدث به علي انفراد، بينما تقوم المناجاة علي التسليم بوجود جمهور، ومن ثم فله سمات خاصة تميزه عن المونولوج ومنها " زيادة

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر :٧٠ المطبعة المليجية، القاهرة ١٩٣٥ .
(٢) تيار الوعي في الرواية الحديثة : ٦٠.
(٣) الحوار في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل (دراسة تحليلية)، بسام خلف سليمان : ١٣-١٦ مجلة كلية العلوم الإسلامية، عدد ١٣ .
(٤) جماليات السرد في الخطاب الروائي (غسان كنفاني)، صبيحة عودة زغرب : ١٥٩، دار مجدولاي للنشر، ٢٠٠٥ .

الترابط وذلك لأن غرضه هو توصيل المشاعر والأفكار المتصلة بالحبكة الفنية وبالفعل الفني، في حين أن المونولوج الداخلي - هو قبل كل شيء - توصيل الهوية الذهنية" [١] .

إذن فتوصيل المشاعر يجعل من قالب مناجاة النفس قالبا قريبا من الشعر في خصائصه المكثفة (الوجدان خاصة) فبقدر ما هو أضعف ما يكون قدرة علي التوصيل . إلا أنه أقل عشوائية من المونولوج الداخلي و أكثر تحديدا، خاصة وأن تقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية يفترض أن تكون من الشخصية إلى القارئ مباشرة بدون حضور السارد، مع افتراض وجود الجمهور افتراضا صامتا" [٢].

أما مناجاة الآخر فيتجه الخطاب فيها للآخرين و ليس إلى الذات، مع افتراض وجود سامع صامت، و عدم تدخل المؤلف بين الشخصية و السامع حيث يروى الكلام بضمير التكلم .

د -التداعي الحر أو التذكر

و هو من التقنيات المهمة في تنظيم حركة تيار الوعي و تحديد العمليات الذهنية، و يتمثل في عمليات استرسال الأفكار و إطلاق العنان لها، و الانبعاث العفوي للذكريات،" إن التداعي للأفكار هو الأداة العادية على الأقل إن لم تكن الأداة اللازمة للذاكرة، فالماضي بجميع الأشكال التي يمكنه أن يعود فيها إلى البروز سيتذكر عن طريق وساطة، و العلاقة بين الماضي ووسيطه هو ما نسميه تداعي الأفكار"[٣].

و ثمة عوامل ثلاثة تنظم حركة التداعي و هي : " أولا الذاكرة التي هي أساسه، و ثانيا الحواس التي تقوده، و ثالثا الخيال الذي يحدد طواعيته " [٤].

و لعل أهم سمات عنصر التداعي هو تسجيل حالة الشخصية المتغيرة، تبعا لوعيها المتمثل في تلقائية الارتداد إلى الماضي، حيثما " يوحي شيء بشيء آخر، يتفق معه في صفة مشتركة أو متناقضة على نحو كلي أو جزئي، حتى لو كان الاشتراك بينهما يتم بمحض الإيحاء "[٥].

أما تيار الوعي في القرآن الكريم فيمكن تلمس حضوره عبر تلك المقامات التي يكشف فيها النص عن دواخل الشخصيات ويفرغ محتوياتها، و حين يقبض علي اللحظات التي تمر فيها بمشاعر وانفعالات معينة، و إذ يرشح من الأحداث والمواقف ما يكشف وعاء الشخصيات الذهني، ويحتوي حركتها النفسية، ويتعرف نوازعها التي تخرج من خلالها سلوكياتها، فما يتميز به السرد القرآني دون أنماط السرد جميعا شموليته الفذة و استيعابه الفضفاض لأنماط سرد عديدة .

إن تيار الوعي في النص القرآني يلتقط في خضم تصوير الشخصية على نحو أكثر واقعية، "حيث يتمثل في التحليل النفسي للشخصيات عن طريق تفسير كل شخصية بسلوكها و بصدى كل حدث في أعماقها، و تغير هذا الصدى بتغير الحالات، و مثل هذا التفسير الموضوعي يرمي إلى استبطان الوعي الداخلي للشخصيات، فالأحداث لا قيمة لها إلا في كشفها عن هذا الوعي، و هم السرد في هذه الحالة منصرف -بخاصة- إلى الكشف عن أحد الأبعاد النفسية، و هو العمق"[٦].

---

(١) تيار الوعي في الرواية الحديثة : ٧٤ .
(٢) تيار الوعي في رواية التفكك لرشيد بوجدرة، الصالح لونيسي :٦٥، أطروحة للماجستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب جامعة الحاج لخضر، باتنة، العام الجامعي ٢٠١١- ٢٠١٢.
(٣) جماليات اللغة في القصة القصيرة، أحلام حادي : ٣٧ .
(٤) تيار الوعي في الرواية الحديثة :٨٤ .
(٥) جماليات اللغة في القصة القصيرة، أحلام حادي : ٥٩ .
(٦) مما ذكره محمد غنيمي هلال عن ملامح تيار الوعي في مؤلفه : " النقد الأدبي الحديث : ٥٥٣، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣ .

و إذا كانت الشخصية هي مدار اشتغال تيار الوعي، و هي محور العمل الأدبي، الذي يصدر تماهيا بين الراوي و تلك الشخصية بدرجة تبدد دور الراوي ، حيث " إن رواية التيار تجنح إلى إلغاء دور الراوي في القصة و تسنده بأكمله إلى إحدى الشخصيات التي تعرض في أعمق مستوياتها الباطنية"[١]، فهذا ما لا سبيل إلى إدراك وجوده بالكيفية ذاتها على مستوى السرد القرآني .

فإنما يكون للسرد القرآني نصيب من هذه السمة التيارية حين يمزج بدقة بين الدورين و ينوع في الآليات و التقنيات و يمازج بينها حسب المقام و تمفصلات السرد ..فهذا اللون قائم في السرد القرآني من حيث لا يتم إلغاء دور الراوي العليم، و إنما يسمح بتدخله بصورة أو بأخرى، ذلك أنه " رغم طغيان وعي الشخصية على رواية التيار فإن الراوي لا يلغى بل يشارك في تقديم الأحداث و الصور . و يتدرج الراوي و الشخصية على سلم ذي قطبين يقتربان حينا و يبتعدان آخر "[٢]، إن الراوي لا يغيب في تيار الوعي و يختفي دائما، و إنما قد يعادل حضوره عدم دوام طغيان الشخصية، فيكون هناك تناوبا حينا و تمازجا حينا آخر .

و على الطرف الآخر، يمكننا تلمس سمات التيار حين يلتقي السرد القرآني و سرد التيار عند طبيعة السرد في تيار الوعي، التي تحطم الإطار السردي الذي يعتمد علي مفهوم الحبكة علي أكثر المستويات الشكلية، حيث بدا أن " صلاحية مفهوم الحبك قد صار موضع ريبة شديدة في عالم الرواية الحديثة والواقع أن الرواية الحديثة التي قدمت نفسها منذ خلقها على أنها الجنس المتقلب دون منازع ... سرعان ما أفلتت من قيود سيطرة النقاد والرقباء الثقيلة" [٣] .

هذا الانقلاب الذي خلق مصطلحا سرديا فرض نفسه بقوة وهو ما أطلق عليه تكسير خطية السرد، هذا التكسير الذي يقود من جهة إلى تخطي وتيرة السرد الطبيعية (الحبكة) فيخرج السرد إلى دائرة الاستطراد، أو التطور الفجائي . حيث الزمن في رواية " تيار الوعي " لا يأخذ أشكاله الطبيعية وتسلسله المنطقي، فالسارد يتحرك بأدائه مسترجعا أو مستبقا لأحداث يضعها مختلطة بالزمن الحاضر، بحيث غدا الجمع بين الأزمنة من لوازم عمل تيار الوعي، و لعل هذا النمط السردي مما يفرض ذاته بقوة في النص القرآني بل لعله من أكثر أشكاله الزمنية حضورا .

ثم .. إذا كان تيار الوعي لاحقا بالقصة فأنى يمكن اعتماد وجوده في نص صدرت حياة الشخصية فيه مشاهد و أحداث متناثرة ؟ .

نستطيع القول إن كثيرا من المشاهد قدم في القرآن الكريم عبر لون من السرد يعتمد في معظمه الوصف تقنية وأداة فنية يقدم بها الأحداث ارتكازا علي الشخصية . فمما يستلفت النظر أن سردا وصفيا في معظمه قدم حياة الشخصيات و توفر على رصد حركتها النفسية في إطار مظاهر السلوك . ذلك أن النص القرآني و هو أغنى المصادر بأنواع السرد، يتوفرعلي جملة مقومات تجعل منه سردا عبقريا معجزا، ولعل هذا اللون من السرد الذي تناثر علي مدار هذا النص ممتزجا بالوصف، هو واحد من أهم أنواع السرد القرآني الممتد بكثافة على مساحة النص الكريم .

هو سرد باعتبار ما عرف به السرد لغة من أنه " تقدمة شيء إلي شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا .. فلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له . وسرد القرآن : تابع قراءته في حدر

---

(١) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي :٤٤٢-٤٤٣، دار الشروق، ١٩٨٠.
(٢) تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، محمود غنايم : ٣٣-٣٤، دار الهدى، كفر قرع، ط ٣، ٢٠١٧ .
(٣) الزمان والسرد، بول ريكور : ٢٩، فلاح رحيم، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط٢، ٢٠٠٦ .

منه"[١]، وفي أساس البلاغة " سرد الحديث والقراءة : جاء بهما على ولاء . وماش مسرد يتابع خطاه في مشيه "[٢] .

السرد قص الأحداث والأخبار، ونقلها من صورتها التي هي عليها إلى صورة لغوية، يقول فان ديك عن السرد : إنه " وصف أفعال يلتمس فيه لكل موصوف فاعلا وقصدا وحالة وعالما ممكنا وتبدلا وغاية، فضلا عن الحالات الذهنية والشعورية والظروف المتصلة بها، فالتنافذ قائم بين عمليتي الإرسال والتلقي، لأن السلسلة اللفظية المشفرة التي يرسلها المؤلف، يقوم المتلقي بحلها في ضوء السياق الثقافي" [٣].

ويعرف عز الدين إسماعيل السرد بأنه " نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية "[٤]، و يقول عبد الملك مرتاض : " هو الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتي المبدع الشعبي الحاكي ليقدم بها الحدث إلي المتلقي، فكأن السرد إذن هو نسيج الكلام، ولكن في صورة حكي .. وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم، حيث تميل المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسيج أيضاً "[٥] .

فالسرد إذن وفق المداليل اللغوية لا يقتصر على القص، وإنما يشمل الحديث بكل تجلياته من وصف وحوار و خطاب، وهو سرد للقراءة يأتي متتابعا متسقا اتساقا جيدا، ومن جانب التعاريف الاصطلاحية هو قص الأحداث والأخبار وحكايتها ونقلها في صورة لغوية، بطريقة توثق عرى التواصل بين المرسل والمستقبل .

أما الوصف في اللغة فقيل فيه :" وصف الشيء له وعليه وصفا وصفه : حلاه ... وقيل : الوصف المصدر والصفة الحلية . الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته " [٦]، وهو مصطلحا : " ذكر بعض الأشياء التي تخص الشيء، وليست ثابتة علي حد .. ومثل ذلك التحلية التي تستعملها الكتاب والحكام فيمن يعرفون باسمه وعينه ونسبه " [٧] .

وفي النقد الحديث وكتب المعاجم أنه " إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية غير مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع . وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص" [٨]، " هو شكل من أشكال القول ينبئ عن كيف يبدو شيء ما، وكيف يكون مذاقه ورائحته وصورته وملمسه، ويشمل استعمال الكلمة والأشياء والناس والأماكن والمناظر والأمزجة النفسية والانطباعات" [٩] .

فالوصف إذن عملية تصوير للمشاهد والأشخاص والأحاسيس تصويرا ذهنيا، وهو يخلق البيئة وفضاء الأحداث، وله وجود مستقل وفاعلية قولية تؤدي وظائف عدة من تحديد وتعيين للأشياء وكميتها ونوعها وسائر صفاتها، إلى وصف مذاقها ورائحتها وصورتها وملمسها .. وهو وسيلة عرض الخصائص

([١]) لسان العرب، ابن منظور : س ر د، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٠ .
([٢]) أساس البلاغة، الزمخشري: ٢٩٢، دار صادر بيروت، ١٣٩٩-١٩٧٩ .
([٣]) النص بنياته ووظائفه (مدخل اولي إلى علم النص)، فان ديك، ترجمة محمد العمري، نقلا عن موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم :١٣، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٥.
([٤]) الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل : ١٨٧، دار الفكر العربي، ط ٦ .
([٥]) ألف ليلة وليلة (دراسة سيميائية لحكاية حمال بغداد)، عبد الملك مرتاض : ٨٣، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣ .
([٦]) لسان العرب : مادة و ص ف .
([٧]) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين الكاتب : ٧٠ تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب،لقاهرة .
([٨]) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس : ٤٣٣، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
([٩]) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي : ٢٧، دار شرقيات، القاهرة، ط١، ١٩٨٠ .

غير المادية من الطبائع والأخلاق المتجسدة في الشخصية، وأداة تصوير السلوك مستغرقا في السرد ملتحما معه مشكلا صورة سردية .

و النص السردي أيا ما كان يتمظهر من خلال هذا التداخل الحميمي بين السرد والوصف، إذ " إن كل عمل سردي يحوي صورا من الحركات والأحداث المتصاعدة، وهذه الصور هي التي تشكل السرد . كما أن كل عمل سردي يشتمل علي صور من الأماكن والأشياء والشخصيات هي التي تمثل الوصف، وذلك على الرغم من أن هذه الصورة شديدة الامتزاج والتداخل، وتمتد على طول النص السردي" [١]. بل قد يكون الوصف أكثر ضرورة للنص السردي من السرد نفسه، إذ ما أسهل أن نصف دون أن نسرد، ولكن لا يمكن أن يوجد سرد من دون وصف " [٢].

و من هنا يمكن الجمع بين مصطلحي السرد والوصف تحت مسمى " السرد الوصفي "، وهو ما يمكن أن نطالع كثافة حضوره في السياق القرآني، ويمكننا إذ ذاك أن نقوم بإجراء ما من شأنه أن نضم أحداثا انتشرت متناثرة عبر صفحات الكتاب العظيم، نجتثها من آيه ونقوم بجمعها و تأليفها من شتات قيده المقصد والمقام، لنتحصل علي بنية سردية متكاملة ترتكز علي نظام لساني يعتمد نمط المفرداتية .

و لعل أروع مافي السرد الوصفي القرآني تلك العلاقة الأكثر سلمية بين المحورين السردي و الوصفي " تلك العلاقة اللاملموسة التي يبدو فيها الوصف و كأنه شبه منعدم إذ لا نحس بوجوده أثناء القراءة السريعة أو العادية، و تتمثل تلك العلاقة في وجود أفعال حركية ووصفية في آن واحد . و هذه الأفعال تخضع في تحققها للقوانين نفسها المتحكمة في إنتاج كل عملية وصفية ... إن كل حدث يمكن التعبير عنه بوساطة عدد من الأفعال التي تناسبه . و لذلك فإن اختيار فعل بعينه هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث أو نوعية الوعي به، أو التفاعل معه حتى نجابه مع كل فعل عملية وصفية دائبة في العملية السردية "[٣].

و لعل جمالية هذا السرد الوصفي تنبعث من كونه وصفا تصويريا جاء محملا بتفاصيل دقيقة، فياضا بالتشابيه، و سط تعابير ترميزية، في لغة تبعث في نفس المتلقي انطباعا برحابة المفردات المنتقاة، بينما يغوص الوصف في قلب الأحداث مفعلا ذهن المتلقي، حيث يتم رسم المشاهد و التنقل بينها في تناسق بديع، يستجمع وعي المتلقي، و يضمن فاعلية تعاطيه للمشاهد و تأثره بها .

ومن ثم يمكننا " تناول هيكل النص القرآني بوصفه بنية سردية إفضائية تسمح لنا باستكناه تمظهراتها السردية الإعجازية، وبخاصة في معطاها البنائي، أو في التجليات الباطنية التي لا يقذف بها النص لمجرد ملامسته، وإنما تبتدى بفعل ذهنية القارئ الموصولة بالإحساسات الجمالية الفطرية المرهفة "[٤] .

٣- المجرمون في القرآن الكريم

يستقطب النص القرآني شعبة من أهل الكفر و الضلال تستأثر بخصوصية في مضمار السرد، فيقدمها بصورة تجاوزت قدرة السرد فيها وظيفة الوصف إلى تحليل النفس بأبعادها المتشعبة، مستظهرا نزعاتها الطارئة في إطار عواطفها، تحت وطأة الظرف العارض و الحدث الفارق، يصور واقعها في غضبها و حدتها، و عنادها و قسوتها، و غرورها و كبرها، و يجلي لحظات ضعفها و حيرتها، و إبلاسها و خيبتها .

---

(١) في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض : ٢٨٩-٢٩٠ سلسة عالم المعرفة الكويتية، الكويت ١٤١٩-١٩٨٨ .
(٢) السابق : ٢٩١ .
(٣) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ : ٣٠،دار اليسر للنشر، المغرب ١٩٩٨.
(٤) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شارف مزاري : ١٨، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ .

مثل هذه المقاطع السردية تجاوزت حد الانطباعات أو إلقاء الأضواء إلى درجة من درجات التوغل داخل ثنايا النفس و حناياها و الجوس في أرجاء الذهن و قراءة مستويات إدراك العقل، و كان لها بالغ العناية بصورة مخرجات الدواخل، وإفضاءات الخواطر حية نابضة تضج حياة بتنحية صوت السارد الأعلى و إخراجها بأصوات أصحابها .

تقابلك شخصية المجرم بصفاتها الخاصة و تيار وعيها ضمن تلك العوارض التي تبدو منها و تلك الأفعال و السلوكيات حيث تنضح ردود أفعالها بالمغالاة، و تضج بمبالغات من لا يستروح فترة تفكر ولا يعبأ لنتائج تصرف .

و المجرم من جرم و هو القطع، و يقال لصرام النخل الجرام، و جرمت صوف الشاة و أخذته، و مما يرد إليه قولهم جرم أي كسب، لأن الذي يحوزه فكأنما اقتطعه، و فلان جريمة أهله أي كاسبهم و الجرم و الجريمة : الذنب و هو من الأول، لأنه كسب و الكسب اقتطاع "[1]. و الجرم التعدي و الذنب، و الجمع أجرام و جروم، و هو الجريمة، و قد جرم يجرم، جرما، و أجرم و اجترم، فهو مجرم و جريم"[2]. "جرمه قطعه، و الجرم الذنب، و أجرم فلان أذنب، فهو مجرم و جريم، و المجرمون الكافرون، و تجرم عليه :ادعى عليه الجرم و إن لم يجرم، و جريمة القوم كاسبهم، و الجرم بالكسر : الجسد، و الجريم : عظيم الجسد، و أجرم : عظم، و لا جرم، بالضم أي لا بد أو لا محالة "[3]. فالمجرم المذنب، و مرتكب الإثم، و جرم في اللغة بمعنى قطع، و المجرم يقطع الصلة بين الخالق و المخلوق بقبيح فعله و سوء مسلكه .

فلفظة المجرمين المشتقة من مادة (جرم)، تعني انفصال طبقة أو جماعة عن سياق المجتمع الطبيعي و رفضهم الانقياد للقوانين و تمردهم عليها و تأبيهم على الخضوع و التسليم " أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ " (القلم : ٣٥)، و السرد القرآني كله مداره فيما أورده عن المجرمين ينطلق من دائرة انسلاخهم عن النظام، فالنفور و القطع و الهجر هي سمات المجرم و وازع سلوكه، فيما يعني الخروج عن النسق بما ينافي العقل و المنطق.

و المجرمون في السياق القرآني إما أشخاص بذواتهم كفرعون و قارون هم بمثابة رموز فردية يقدمها النص القرآني، و إما نماذج من أقوام و جماعات، كقوم نوح و قوم عاد و ثمود و أصحاب الأيكة و قوم فرعون و قوم لوط، و إما تقاطع ذكرهم بذكر الكافرين و المشركين و الظالمين لاندراجهم ضمن هذه الفئات، و جميعهم انخرط في إطار المخالفة الصارخة التي ربما استوجبت إهلاكا في الدنيا، تقدم عذاب الآخرة .

الشق التطبيقي :

سرد المجرمين في القرآن الكريم

- عنوان السرد

يموج النص القرآني بسرد مواقف المجرمين، فيبرز أفعالهم التي تنتجها انفعالاتهم، ضمن حيز شاغل لمواقع عديدة في النص بأسره، حيث يتم اقتحام عوالم نفس المجرم، وتعرية مخبوئها، والإفصاح عن مكنوناتها، مفاهيمها، مشاعرها و أحاسيسها، هواجسها وخطراتها، فيما يمكن أن يقيد له عنوان : " كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ " (الشعراء :٢٠٠- ٢٠١)،

---

(1) مقاييس اللغة : مادة ج ر م .
(2) لسان العرب : مادة ج ر م .
(3) القاموس المحيط، الفيروزآبادي :١٠٨٧/١، (باب الميم فصل الجيم)، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦/٢٠٠٥ .

فهاتان الآيتان تختزلان ما يفصله السرد القرآنى من وقائع تعكس مخزون نفس المجرم، ووعاءه الذهني، وباعتبار العنوان سمة المتن، ومختزل الدلالات، يمكن من خلال هذا العنوان مقاربة السرد القرآني لفئة المجرمين، فالآيتان تحملان بمجموعة دلالات وعلامات و إيحاءات ثرة *متنوعة* عن دواخل المجرمين، فيما تم تفصيله عبر النصوص فى مواقع قرآنية متعددة .

إن استرسال المعاني وتدفقها فى الآيتين، والوحدة الجامعة بينهما، وما يترتب عليه من وحدة التناسق في التسلسل، كل هذا يتم في إطار العناية بما هو مهم ومنطقي، حيث يضيف النص وظيفة عقلية و وجودا نفسيا لمنطقة الدافع و الفعل، والتي هي قائمة موجودة بالفعل،فيعنى بلب التجربة الإنسانية والحركة الذهنية الخاصة بالشخصية في إطار ما تمد به المفردات .

أما مفردة (المجرمين) فتحمل بجملة صفات وملامح ذهنية تميز الشخصية، كما تبرز من خلالها الجوانب الخفية المظلمة من النفس أو الحياة الباطنية، بينما ترصد الآيتان تنامي حركة الفاعل النفسي والذهني من خلال مفردتي (سلكناه) (لا يؤمنون)، فعبر بنية السرد فى الآيتين، وما يداخلها من لفظ، يمكن تحري حركة الشخصية، فى إطارها الذاتي، على النحو الآتى :

هم مجرمون / (لذلك) سلكنا الكفر في قلوبهم / (ف)لا يؤمنون /حتى يروا العذاب الأليم .

من خلال مفردة (المجرمين) تتقاطع خيوط الشخصية، ويلم السرد بوعائها الذهني وبنائها النفسي،ويصب ذلك فى قالب الصيغة الاسمية الدالة على الثبوت و اللزوم تكريسا لحقيقة ثابتة، وحالة غير قابلة للتغير والتبدل، تحت أي ظرف و حيال أى حدث، لتغدو المفردة (المجرمين) سببا للنتيجة التي أفضى إليها النص (سلكناه في قلوب..) .

الآيتان عنوان يتوفر بدقة على كشف خبايا الشخصية، و يعنى بالكيفية التي تتشكل بها أعماقها الداخلية، انطلاقا من جملة ما يضم دال (مجرم) من مدلولات، فشخصية المجرم من هذا المنظور تتسلط عليها جملة أفكار ثابتة، حيث يعتمد لفظ المجرم على صفات الشخصية و وظائفها وأثرها، ومجموعة العمليات الذهنية التي تقدمتها،" فإنفاذ الكفر وعدم الإيمان فى قلوب المجرمين جراء كونهم مجرمين واستقامتهم فى العصيان والخلاف"[(١)]، ووصفهم بالإجرام " إشارة إلى علة الحكم وهو سلوكه فى قلوبهم على هذه الحال المبغوضة والمنفورة، وأن ذلك مجازاة إلهية جازاهم بها عن إجرامهم " [(٢)]، فالوصف يخرج الحكم مخرج القاعدة، ويعممه بعموم العلة (مجرمين)، اذ تعلق الحكم بالوصف، وعم كل زمن، وكل من اتصف به .

و تأتى خطورة كلمة(سلك) التي تنقل بالصورة الحية واللقطة الدقيقة عملية تنفيذ ما ألح عليه المجرم وسعى إليه من إقرار للكفر فى قلبه . والنص إذ يستكمل أطوار شخصية المجرم، وينقل ما تنطوي عليه سريرته، يعمل تلك المفردة، " والسلك : نفوذ شيء فى شيء"[(٣)]، وفي اللسان " سلكت الشيء في الشيء أى أدخلته فيه فدخل ... والمسلك الطريق .. والسلك إدخال شيء تسلكه فيه كما تطعن الطاعن فتسلك

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي : ٢٢٢/٥ - ٢٢٣، مركز نشر آثار المصطفوي، طهران، إيران، ط ١، ١٣٨٥ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٢٣/١٥ منشورات الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

(٣) المقاييس : س ل ك .

الرمح فيه "[١] . ففي سلك معنى الحركة على خط معين دقيق، فسلكه للمجرمين أي نفذ فيهم على خط معنوي وعلى مقتضى ما يعتقدون، وهو الكفر وعدم الإيمان " [٢] .

و إن لكلمة (سلك) على الخصوص قيمة دلالية في سرد المجرمين في النص القرآني، من حيث تكررت ثلاث مرات في ثلاثة مواقع مختلفة، بما تعنيه من التنظيم و الترتيب، فحيثما تمرد المجرمون على قوانين الله، و اتبعوا أهواءهم، فعاشوا في فوضى عقائدية، مخالفين العقل والمنطق، جعل عقابهم بانتظام الكفر فيهم " كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ "(الحجر : ١٢)، ثم انتظامهم في الحشر "مُقَرَّنِينَ فِي الأَصۡفَادِ "(إبراهيم :٤٩)، و من بعد في النار " مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ " (المدثر : ٤٢)، إنه انتظام من يروغ من الانتظام و يأباه مسلكا، و ديدن حياة، و من ثم تكرس اللفظة وعيا أولع صاحبه بالفوضى و الانفلات و التمرد على النظام و القانون.

تحكم لفظة (قلوبهم) مع الظرفية المستفادة من الحرف (في) القبضة على مفاصل ثلاثة : العقل / الفؤاد / القلب، فالقلب هو جوهر النفس ومركز القرار، وهو جماع العقل والفؤاد وقائدهما، يرجح العقل حين يعلو على شهوة الفؤاد، ويتبع الفؤاد حين يتبع الهوى، وذكره في التنزيل الحكيم يدور حول تلك المرحلة التي يستقر فيها تأثير العقل على قرار القلب، أو يتغلب أثر الفؤاد فيصطبغ بصبغة الهوى .

فهو مناط الإدراك ومنشأ الفعل والقرار في السلوك الناتج عن تمازج العقل والفؤاد وتفاعلهما"[٣]، فنحن مع كلمة (قلوبهم) بحيال مرحلة تجاوزت عمليات تصارع العقل والعاطفة إلى مرحلة الإدراك والقرار والسلوك، ذلك أن القلب محل العزم والفكر والعلم والقصد، وهو محل الإدراك والفهم والتعقل وحتى الانفعال المقصود" [٤] .

فثمة عمليات اختيار تمت، وثمة تنحية للعقل المتهييء لقبول العلم، وثمة انتصار للهوى والميل والزيغ، وثمة قرارات وسلوكيات دخلت حيز التطبيق، فما وصل إليه القلب ترتب عليه الرفض والإعراض و عدم التسليم .

وفي إسناده السلوك إلى ذاته العلية (سلكناه)، لما أراده من الدلالة على تمكنه مكذوبا في قلوبهم أشد التمكن، فجعله بمثابة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ... لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة، فسلكناه في قلوبهم مما يدل" على أن صفة الإجرام إذا تلبس بها إنسان حالت بينه وبين قبول الحق"[٥]، و من ثم فالسرد هنا يرصد بدقة لحظة انتقال المشاعر و الخواطر إلى الذهن .

---

(١) لسان العرب : س ل ك، والفرق بين (سلك) و(دخل) أن الدخول يعني الحركة والانتقال والحضور و فيه استأثر المكان بنسبة عالية " دلالة الفعل دخل فى القرآن الكريم (دراسة سياقية)، سعدية مصطفى محمد، مجلة فيلولوجي، عدد ٦٦، مجلد٣٣، يونيو ٢٠١٦.

(٢) التحقيق : ٢٢٢/٥ -٢٢٣

(٣) العقل يدل على القوة المتهيئة لقبول العلم، وهو قوة قادرة على حبس النفس ومنعها الوقوع في المهالك، والفؤاد لطيفة القلب وهو محل الشعور والخيالات الخارجة من دائرة العمل " ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، زين حسين أحمد ياسين :٢١٧ . أطروحة للماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩ .

(٤) ألفاظ أحوال النفس : ١٠٥ .القلب مسئول لارتباطه بالقصد والإرادة، وهذا ينطبق عليه جانب الاختيار، فالقلب المبصر مؤشر التفرقة بين الخير والشر، يرى الحقائق جلية واضحة، يدرك أبعادها، ويفهم دقائقها، ويستجلي ما وراءها من الحكمة .

(٥) الأساس في التفسير، سعيد حوي : ٣٩٥٧، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، حلب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، و في الكشاف : ٧٧٠، "سلكناه يعني مكناه و قررناه فيها على مثل هذه الحال و هذه الصفة من الكفر و

أضف إلى ذلك أن التعبير (سلكناه في قلوب المجرمين) ينطوي على بيان لحالة نفسية شديدة الغور والخفاء، إذ يلفت إلى أنه نظمه " كما ينظم السهم إذا رمي به، أو الرمح إذا طعن به فى القلب، لا يتسع له ولا ينشرح به، بل يراه ضيقا حرجا "[١] .

"لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم،" تلك قضية ترتبت على قضية، إذ لأجل ما سلك في قلوب المجرمين (لا يؤمنون)، " (سلكناه) يعني القرآن أي: الكفر به...، و قيل (سلكنا) التكذيب في قلوبهم فذلك الذي منعهم من الإيمان "[٢] .

فهنا يبرز ما تنطوي عليه نفوس المجرمين من رفض وإصرار وتماد منشؤه فساد الطباع، وتنحية وازع العقل، وتغليب الهوى، وهو ماكشف عنه المضارع المنفي (لا يؤمنون)، الذي يستبعد فكرة التصديق ويجعل ذلك مستمرا متجددا مع كل دعوة وحيال أي دليل .

وتنطوي (يؤمنون) على بعدين أحدهما بسبب من الآخر، وكلاهما يدخل تحت طائلة الذهن والشعور، فالمعنى الأول للإيمان هو الأمن والطمأنينة، " ، وفي المفردات " و آمن إنما يقال على وجهين أحدهما متعد بنفسه يقال أمنته أي جعلت له الأمن، والثاني غير متعد ومعناه صار ذا أمن. والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ... وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق "[٣]، فالإيمان بهذا المعنى يعني الطمانينة وهو ضد التكذيب وضد الكفر بمختلف معانيه وشرط التصديق أن يكون بالقلب "[٤] وهو ما يعني التصديق الذي معه أمن.

وبالربط بين كون الإيمان الاطمئنان من جانب والتصديق الذي محله القلب من جانب آخر فإن ذلك مما " يقتضي وجود دائرة خوف مصنوعة بيد الكفر. فالكلمة على كونها تستعمل على سبيل المدح ويراد بها إذعان النفس للحق على سبيل التصديق تفيد من جهة الاقتضاء خروج المتصف بها من دائرة الخوف ودخوله مدار الأمن وهو المقتضى الحاصل من معنى صيغة " أفعل" وهو الاتصاف بصفة، فآمن المرء معناه صار ذا أمن "[٥]، وهو ما يقتضي أن الإنسان بعيدا عن الإيمان غير آمن أي أنه في خوف، فها هنا شعور خفي ما يزال يعاود قلب المجرم ويحاصره، وهو استشعار الخوف، وهو شعور متجدد ما تجدد رفضه التصديق و الإذعان .

من ثم فنفي الإيمان عنهم يرصد وعيا لشخصية معرضة لاتصدق و لا تذعن لما جاءت به الرسالة، لا تنعم بأمن أو اطمئنان، و جملة المشاعر هذه و الكيفيات التي يعمل بها العقل في حالة تجدد و استمرار حتى رؤية العذاب الأليم أي حتى اللحظة التي يعاينون فيها أمارات ترى وتشاهد من أحوال العذاب[٦] .

ـ الفصل الأول : الحياة الدنيا

" وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (الفرقان : ٣١)، هذا عنوان المجرمين في الدنيا و موقفهم من الرسل و الرسالات .

التكذيب له ووضعناه فيها فكيفما فعل بهم و صنع، و على أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحود و إنكار " .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، برهان الدين عمر البقاعي، ١٤/ ١٠١-١٠٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٧٨/١٦، دار الكتاب العربي، ١٩٥٢/١٣٧٢

(٣) المفردات فى غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : أم ن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

(٤) حقيقة الإيمان في الإسلام، حمودة السعفي : ٢٢-٢٤، مجلة الهداية، عدد ٢٥شعبان ١٤١٤/ ديسمبر ١٩٩٤.

(٥) الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة : ١٣٥،،دار الفارابي، بيروت،٢٠٠٧ .

(٦) وهذا إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإيمانهم حينذاك بئس الإيمان إذ مبعثه الرهبة لا الرغبة .

إنه التوازن البشري في أجلى صوره، يقدمه السرد هنا عبر شخصيتين فاعلتين، فيعزز مكانة كل شخصية : نبي يوحى إليه ليصحح مسارات التوت وسبلا اعوجت، يوحد الناس وقد غدوا طرائق قددا، يهديهم إلى صواب الفعل ورشده، وعدو من المجرمين يدافع عن الفساد، وطغيان المصالح والشهوات، ثم " .. كفى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ".

في لفظة (عدو) تضمر ألوان من الظلم والتخطي، وفى المفردات " : عدا : العدو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة و المعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة فى الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو، وتارة بأجزاء المقر فيقال له العدواء، يقال مكان ذو عدواء أي غير ملائم الأجزاء "[١]، وفي المصباح المنير "عدا عليه يعدو عدوا وعدواً وعدوانا وعداء : ظلم وتجاوز الحد [٢] و " العدو ضد الولي، وهو وصف لكنه ضارع الاسم، وتعادى ما بينهم أي فسد وتعادى : تباعد . والعداء : تجاوز الحد والظلم[٣] .

فالعدو " هو تجاوز إلى حقوق الآخرين. وبهذين القيدين يمتاز عن مواد - الجوز، الجور، الظلم، البغي، العتو، الطغيان .. وتقابل المادة مواد الولاية والصداقة باعتبار أن كلا من الولي والصديق يحفظ حق صاحبه، وتستعمل المادة في موارد الظلم الصراح إذا تحقق التعدي، و في التجاوز والجور والعتو والطغيان إذا تحقق التجاوز إلى حقوق الآخرين " [٤] .

إن سكونية لفظة (عدو) تحبس المجرمين في إطار الموقف الثابت، لتكرس محتوى ذهني محدد، و هي انتقاء مقصود فى بعدها النفسي ودلالتها النفسية، وما تحدثه من وقع وصدى، ففيها من الحشد الفني والدلالي مالا يمكن أن تنهض به لفظة بديلة . وفي التحرير " ووصف أعداء الأنبياء بأنهم من المجرمين، أي من جملة المجرمين، فإن الإجرام أعم من عداوة الأنبياء وهو أعظمها وإنما أريد تحقيق انضواء أعداء الأنبياء في زمرة المجرمين" [٥]، وفي نظم الدرر "عدوا من المجرمين الذين طبعناهم على الشغف بقطع ما يقتضي الوصل فأضللناهم بذلك إهانة "[٦] .

و إن هذه العداوة لتضمر رغبة في الفساد والإفساد، و اتفاقا للمشارب مع هذا الفساد " لنفوس تتنفس فى جو الفساد الوبئ شهواتها، بينما تنتصر دعوة الحق في النهاية لأنها تسير مع خط الحياة، وتتجه إلى الأفق الكريم الوضيءالذي تتصل فيه بالله، والذي تبلغ عنده الكمال المقدر لها كما أراد الله(وكفى بربك هاديا ونصيرا) "[٧].

ثم .. لنجاوز العتبة الأولى حيث يستكمل السرد القرآني للمجرمين أطوارا و يرصد حالات وأحوالا، نطالعها فيما يلي :

أولا : سبيل المجرمين

" وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ " (الأنعام :٥٥) .

بهذا الإقفال ختمت جملة ممارسات المجرمين في الدنيا، و إن الشيء المهم، في جملة المقاطع التي تقدمت الآية، هو هذا النمط من السرد الذي تلعب فيه الذات دورا مهما، حيث يتم الكشف عن تيار وعيها الديمومي بطبقاته الشعورية الواعية، بحيث يغدو تصوير الدراما الذهنية تصويرا حياً غاية مهمة من

---

(١) المفردات : ع د و .
(٢) المصباح المنير، المقري : ع د و، مكتبة لبنان، ١٩٨٧.
(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبو بكر الرازي : ع د و، الكويت، ١٩٨٢.
(٤) التحقيق : ٧٥/٨ .
(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور : ١٨/١٩، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
(٦) نظم الدرر :٣٧٧/١٣ .
(٧) في ظلال القرآن : ٢٥٤٣، دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣ .

غايات السرد لتقديم هوية المجرم وطبيعة عملياته الذهنية وآلياته السيكولوجية، إذ يولي السرد عنايته بالوجود النفسي الوظيفي للمجرم أي ماهيته العقلية، فيما صب في قالب لغوي، فخرج سردا يموج بالأحاسيس يتوغل نشاط نفس تعبر اللغة عن صدى انفعالاتها الداخلية العميقة، وتعري باطنها المفعم بالضلال، وتصورها في صدق وحياد فتعكس عمق حياتها، وتنوعات إدراكها، وتركيبها، واضطرابها .

ففي إطار ثابت من ثنائية : الفعل / رد الفعل (مايقود إلى الإقرار بصدق الرسالة / رد الفعل العجيب المخالف للعقل والمنطق)، خرجت الآيات سردا وصفيا مطولا، أوقف المتلقي من خلاله على درجات انثيال الأفكار وتداعيها في ذهن المجرم، بل وتسلطها عليه حد الاستحواذ، فما عاد يستجيب لنداء ولا يرعوي لبينة تنبسط على مرآه، ويعلو صداها مصما آذانه.

حيث تلقي مفردة " نفصل" بظلالها الواسعة على جملة المشاهد المتقدمة، ملخصة هوية المجرم، ومهيئة لعملية فحص ما بداخله، ثم إعادة تركيب عالمه في ذهن المتلقي، من حيث بدا انفراد الشخصية بأقصى درجات الضلال والتخبط المزاوج لأبلغ مراتب التصلب والعناد قبالة الدلائل والعلامات البينات الفارقات .

و" التفصيل" هو : التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل وهو تفرق الشيء عن الشيء . ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين...أي الإتيان بالآيات الواضحة الدالة على المقصود منها"[١]، وفيه دلالة التتابع في انفصال، أي نأتي بها شيئاً بعد شيء، ولا ننزلها جملة متصلة" [٢]، فبمثل هذا البيان والتفصيل تتداعى الآيات تترى بما لا يترك مجالا لريبة في الحق، ولا يغادر فيه غموضاً او التواء، ولا يبقي حاجة لطلب الخوارق، فجميعها دلائل هدى و موحيات إيمان، فيها ما فيها من بيان للحقائق وتقرير للوقائع .

عبر صيغة المضارع " نفصل " تنعكس دينامية الأفكار وتناميها داخل ذهن المجرم، حيث تلتمس درجات انفعاله و ردود أفعاله، ويتم توجيه الأنظار إلى محور داخله في تلقيه الآيات المفصلات متواليات، فنحن مع المضارع (نفصل) نكاد نخايل صورة المجرم، تتوالى الآيات عليه، تدعوه إلى الانضواء تحت مظلة الإيمان، فيأبى ويعرض ويروغ مرة بعد مرة ثم ينسلخ موليا دبره، ففي هذا اللفظ من الشفافية و الإحكام، مايتحول به من لغة إلي صور وحقائق ماثلة، تصور تغلغل إحساس الشخصية، لتبدو خصوصية شخصية المجرم التي يلاحقها المتن السردي، فها هو ذا في تلقيه الآيات الواحدة تلو الأخرى، يستجمع وعيه درجات الصدود والعناد والإصرار ممتزجة بطبقات الجهل، مصورا في لفظة " نفصل" التي تعكس عدة عمليات ذهنية، وتفضح أجواء غامضة، في حالات فيضانية شعورية لتلك الشخصية .

تعمق لفظة " سبيل " درجات الصدود وترصد تماديا، إذ السبيل هو ما يمتد ويرخى، وهو في اللغة : الطريق " سمي بذلك لامتداده، فأصل مادة (س ب ل) الدلالة على الامتداد" [٣] وكثر استعماله في الطريق الذي فيه سهولة" [٤]، فالسبيل ما يمتد ويرسل ويسبل من نقطة، فهو الطريق السهل الطبيعي

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٦٠/٧ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ٢٥١٨/٨
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس : س ب ل، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة و النشر .
(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : س ب ل .

الممتد الموصل إلي نقطة مقصودة، مادية أو معنوية" [١]، فالتمادي في المذهب في يسر وسهولة يمثل في تلك الكلمة من حيث " استعير السبيل للتعبير عن المذهب والطريقة " [٢] .

من خلال الصيغة الاسمية يتم تصوير سكونية الذهن واجتراره فكرة واحدة، لا يحيد عنها، فسبيل المجرمين محتوى ذهني لشخصية متمادية في مخالفة الرشد، مجانبة للفطرة الزاكية الطاهرة، موغلة في الغي والفساد والمقت والخلاف، مجتنبة الهدى، متبعة الضلال .

تلتئم قطع البناء الذهني والنفسي للمجرم وتتقاطع مع مسارات الكفر والشرك والظلم، مولدة هذا النموذج البشري الذي انطلق ذهنيا ونفسيا من قاعدة الكفر، مرورا بالشرك، وتجاوزا للظلم، ليقر مجرما .

و يلتمس سبيل المجرمين، فيما طرحته الآيات المتقدمة، إذ يتتبع السرد مسيرة المجرم وحركته، في إطار جمالية النظم القرآني، حيث تنبعث الدلالات من خلال جملة سمات تيارية، فثمة عمليات قطع واختزال وبتر، وعمليات تكرار على جانب موازي تدفع بدينامية المشاهد، وهناك كسر لنمطية التوالي والاستمرار، وتعددية للأصوات، ومقاطع حوارية .. في إطار من التناسق الذي لا تنفرط عبره العلاقات وجملة الانتقالات التي يجللها غموض لا يبلغ حد الخلط والتشويش .

حيث تتم المزاوجة بين الثابت الساكن والمتجدد الديمومي في إطار ثنائية قوامها : السبب (المقدمة)/ النتيجة : الذين كفروا/ بربهم يعدلون، خلقكم/ تمترون، تأتيهم آية/ معرضين، كذبوا بالحق / يستهزئون، الظالمون / افتري على الله كذبا أو كذب بآياته، يستمع إليك / على قلوبهم أكنة، ينهون عنه / ينأون عنه ... وما بين الثابت القار والمتجدد المتدفق، تلتقط الخبايا وترصد حركة الانفعالات، وتبرز طبيعة ذهن المجرم وجملة العمليات الذهنية المتشابكة المعقدة التي تعتمل فيه، حيث لا يثبت الذهن عند شعور واحد أو إدراك بذاته، إنما هي عدة عمليات ذهنية يعيشها العقل الباطن .

أما جملة المفردات فتقوم بدور الناقل لوعاء المجرم الذهني، وكأنها سطح يعكس باطنه ومحيطه،وما يدور داخل منطقة وعيه، حيث يرتفع السرد عن تسجيل سمات الشخصية الخارجية، فيقدمها عبر أفكارها وتصوراتها ورؤاها، انطلاقا من قنوات ثلاث : الكفر/الشرك/الظلم .

* " ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ " (آيه :١)، بهذا الثبوت على الكفر الذي يكتنز إنكارا و يضمر جحودا ومعاندة، تتم عمليات ستر لما دلت عليه العقول من براهين التوحيد التي لا تخفى على نفس تجردت من الهوى، وعالجت أدواء القلب، والكفر " من قولك كفرت الشيء إذا غطيته، يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء ..فكأن الكافر ساتر للحق وساتر لنعم الله" [٣].

إن خصوصية كلمة (كفر) التي تنبيء عن طبيعة المجرم الذهنية تنبعث من أنها في ذاتها مسرح لمنطوق ومقتضى معا، فكونها تفيد معنى جحود النعمة مما يقتضي وجود نعمة في السياق، و المجرمون بصدد طمسها وجحدها وهي دعوة التوحيد، ومن ثم تلقي الكلمة بظلالها الواسعة على مقدار فساد منطق المجرمين، وتعرض بهم تعريضا بما في مقتضى الكلمة من أن نعمة التوحيد حقيقية وكائنة، بينما المجرمون ناكبون عنها، مما يكشف عن تمام خور منطقهم وضعفه .

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٥٢/٥، والسبيل بخلاف الطريق فهو من الطرق بمعنى الضرب والدق، وهو ما يكون ويتحصل بالعمل والصنع والتهيئة من غير سهولة .

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي : س ب ل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

(٣) تفسير غريب القرآن، عبد الله بن قتيبة : ٢٨ تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧٨.

* " بربهم يعدلون "مفردة "يعدلون" هنا تتسع لتضم في شعابها المساواة مع الشرك، فتتجاوز طبقة الإشراك إلى المعادلة " يعدلون : يسوون . والعدل التسوية .. أي يعدلون بربهم غيره .. والمراد يعدلونه في الإلهية "[١]، واللفظة تقبض على عمليات التدفق والاسترسال في اتخاذ الأنداد و النظائر، وترصد إلحاحا و إصرارا تكرسه دينامية المضارع وديموته في السياق .

وما بين ثنائية : الثابت / الذين كفروا، المتجدد / يعدلون، تنكشف التركيبة العقلية للمجرم، أما منطلقها فثابت قار " الذين كفروا "، و أما أفعالها وتحركاتها، التي تنطلق من عمليات وعي مسترسل، فمتجددة تسير في مجرى الكفر إذ تسوي بالله غيره ف " يجعلون غيره ممن لا يقدر على شيء معادلا له مع معرفتهم بأنه الذي أبدع الأشياء كفرا لنعمته "[٢] .

* " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ " (آيه :٢١) إن كفرهم وشركهم الذي أفرز افتراء وتكذيبا مبعثه إذن كونهم ظالمين .

الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه .. و" المظلومة" الأرض التي حفر فيها ولم تكن موضع حفر، سميت بذلك لأن الحفر وضع غير موضعه فكأن الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ماليس له " [٣] .

صفة " الظلم " تقتضي وجود نقطة دائرة وقع الخروج عنها وهي نقطة الحق، فهذه الصفة هي شأن صفة " الكافرون " إذ تطبق على خصوم القرآن تضعهم موضع الاتهام في ضوء حقيقة ضمنية هي حقيقة وجود الحق الذي ضيع الظالمون، لهذا عرف ابن عاشور الظلم بقوله : " الظلم هو الاعتداء على حق صاحب الحق " وهو ما يقتضي وجود حق و صاحب حق ملازمين لصفة " الظالمون " فيكون المنعوتون بهذه الصفة لافكاك لهم عن كونهم محجوجين"[٤]، و هو ما يعيد تكريس ذهنية المجرم و ما تنطوي عليه من تجاوز يصل حد التعدي .

و في ضوء هذه العمليات الثلاث : الكفر/الشرك/الظلم، تنعكس سلوكيات الشخصية، ويستبطن صدى الأحداث في أعماقها، وتوصف درجات السكونية و الحركة تبعا لتغير الحالات، إن السلوك الخارجي هنا هو مرآة السلوك الداخلي، فالسرد يتشكل من قصتين : خارجية وتقع على محور نظمي واحد، وداخلية ولها محورها النظمي الخاص بها، والشخصية هي الرابط الجامع بينهما، حيث تنصب عناية السرد بالقصتين معا.

فالعالم الداخلي للشخصية يقدم ممتزجا بالعالم الخارجي، حيث يرفد تيار الوعي من الحدث ويستمد الحدث من وعي الشخصية، فيتأرجح المتلقي بين الواقع النفسي والواقع المحسوس للشخصية، إذ تتألف مادة الوعي من أفكار و أحاسيس هي صدى المحيط الخارجي ..فالأفكار وقت إفراغها تتخللها الأحداث الآنية المحيطة .. ومن ثم نجد أن الحياة الداخلية أو الوعي ومادته تتمازج والواقع الخارجي، كما أن الأحداث الآنية تصطبغ بالحالة النفسية والصور الذهنية .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢٨/٧.
(٢) نظم الدرر :٥٠٤/٧.
(٣) تفسير غريب القرآن :٢٨، والظلم " بين الإنسان وبين الله وأعظمة الكفر والشرك والنفاق، وظلم بينه وبين الناس وظلم بينه وبين نفسه " المفردات : ظ ل م .
(٤) الحجاج في القرآن : ١٢٢.

والشخصية و إن كانت تقدم وصفا عبر عين السارد العليم فإنها منطرحة في عالمها الخاص بفعل المفردة التي تشف وتوحي وتصور، وتتوغل الباطن، فتصور أكثر مما تصف، وتشرح وتشرّح في حياد تام .

إن واقع المجرم الخارجي وما ينطوي عليه وعيه الداخلي من عمليات ذهنية و تدفقات شعورية تنتظمه مستويات الكفر والشرك والظلم والتي تعد تربة الإجرام، فإذا ما كانت هذه القنوات الثلاث هي تربة الإجرام .. فأنى تلتمس شجراته و ثمراته ؟ .

١- تلتمس فيما تعكسه الأحداث وتنبيء عنه الصراعات النفسية، و الوعاء الذهني للشخصية، فتربة كهذه تنتج مماراة في بينة "ا لْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) " (الآيتان ١-٢).

إن جملة عمليات التعامي والتجاهل ممتزجة بالعناد والإصرار تستجمعها أداة التراخي (ثم) و ضمير الفصل و صيغة افتعال (ثم أنتم تمترون)، "أي تكلفون أنفسكم الشك في كل من الوحدانية والإعادة "[١]، "فحرف (ثم) للتراخي الرتبي كغالب وقوعها في عطف الجمل لانتقال من خبر إلى أعجب منه، كما تقدم في قوله " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " أي فالتعجب حقيق ممن يمترون في أمر البعث مع علمهم بالخلق الأول وبالموت "[٢] .

في مفردة (تمترون) استبطان حالة التردد والشك النفسي و العناد فيما يخرج جدلا متواليا متجددا يفصح عن عناء الحال، وأصل المرية التردد في الأمر، وهو أخص من الشك فالامتراء شك يصاحبه عناد، كأن صاحبه يستخرج ما فيه من شبه يجادل بها، وأصله " من قولهم : مريت الناقة، أي: مسحت ضرعها لتستخرج ما فيه، والمرية كأنها استخراج للشبه المشكلة "[٣]، فارتياد العالم الداخلي للمجرم يكشف عن درجات المقاساة إذ يعني نفسه باستخرج الشبه المشكلة، بالقدر الذي يكشف به عن انتفاء العلم، كما يكشف قدر التمادي في العناد الذي يترجمه السلوك جدلا، حيث تعاني الشخصية أشكالا عديدة من الشك و الصراع بين ما هو عقلي ومنطقي، وما يدعو إلي القلق والخوف من ألوان التغيير للعقائد الموروثة، وانحلال لطبقات مجتمعية، ومن ثم استلاب للسلطة.

٢ - ومن التماري إلي الإعراض والانصراف عن الدعوة ومقتضياتها " وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ " (آيه :٤)، يرصد المضارع (يأتيهم) توالي حالات التعرض للآيات والعلامات الدالة على صدق الرسالة، تقابلها عمليات إعراض متتابعة أحالت أفعالهم إلي درجة من الثبوت والرسوخ جسدتها الصيغة الاسمية " معرضين"، التي تتجلى فيها بعض عمليات الحدوث والتجدد من خلال صيغة اسم الفاعل، إن الإعراض هنا راسخ رسوخ الخشية على إرث الأجداد و السلطة و الشهوات التي تقمعها الأديان، متجدد ما تجددت الدعوة و تعرضت الآيات و العلامات . " فإذا تقرر الإعراض ثبت أنهم كذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله، فإن الإعراض علامة التكذيب "[٤] .

---

(١) نظم الدرر :١٠/٧.

(٢) التحرير والتنوير :١٣١/٧.

(٣) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني : م ر ي .

(٤) التحرير والتنوير : ١٣٥/٧.

٣ ـ " فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ " (آيه:٥)، إن التكذيب مقترن هنا بالاستهزاء بعلاقة التلازم لا التتابع، وتلك خصوصية إجرامية تمارس على مستوى الواقع لاحقة بطبقات المجرمين عبر الزمان والمكان، فهي لازمة لعقولهم تحقق مستوى من الأداء الذهني والنفسي معا، فما يمتليء به وعاء العقل، تجتره النفس، فيخرج جملة طاقات نفسية تسلط على المسلمين استهزاء بهم ومساسا برسولهم " وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ " (آيه :١٠) .

٤ ـ وما بين السخرية والاستهزاء نفس أترعت كبرا وغرورا، إذ " أصل التسخير التذليل، .. سخرته : أي قهرته وذللته وسخره تسخيرا : كلفه عملا بلا أجرة . و كل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يحصله من القهر فذلك مسخر، وتسخرت دابة فلان : أي ركبتها بغير أجر "[١]، و "السخرية تكون من شيء يحق عند صاحبه ولا يحق عند الساخر"[٢]. ففي السخرية استهانة المجرم وتحقيره للآخر واستذلاله، وفيها يبدو منطقه المغلوط باعتباره أهل الحق أهل نقائص وعيوب، إذ في السخرية ذم صفات وأفعال الآخرين ذما يخرجها عن درجة الاعتياد .

وفي الاستهزاء معنى " السخرية والاستخفاف، وأصله : الخفة من الهزء وهو القتل السريع"[٣]. وغرض المستهزيء إنزال الهوان والحقارة بالمستهزأ منه، وفي الجمع بين السخرية والاستهزاء لدى المجرم إبراز لطوريي التعدي بالقول و الفعل .

وفي السخرية " اقتران ما بين الضحك وعلاقة عدم الاحترام على شيء ما، أو من شيء ما، والتي تتمثل في الاحتقار أو الاستخفاف أو الاستهانة " [٤] "، و هو ما بدا عالقا رأسا بالمجرمين في موقع سورة المطففين "إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ " (المطففين : ٢٩-٣١) .

إنها حالات نفسية و تنقلات فكرية و انفعالات داخلية تتعاور المجرم الساخر المستهزيء تتمثل في هذه المشاهد بأبعادها حية للعيون، حاضرة للأذهان، تكشف عن روح لئيمة، وتشف عن نفس سقيمة، استراحت في كنف الضلال .

و جمالية اللفظ في تلك المشاهد مرجعها حركيته التي أسبغ عليها المضارع انفتاحا وامتدادا، ومثلها فأحسن تمثيلها (يضحكون /يتغامزون/ إذا انقلبوا/ إذا رأوهم)، وعملية الوصف يجري فيها تيار من رؤى الواصف، فهو كما يبدو معني بتقديم جرعات من التأمل والاستبطان . وفي غضون الوصف تتحقق سمات تيارية إذ يندمج الوصف مع المناجاة " قالوا إن هؤلاء لضالون "، و تعرض المشاهد عبر عملية استدعاء (كانوا)، وفي غضون عملية التذكر و إعمال السرد لتقنية المونتاج الزماني، يتم حصر الشخصية في المكان في حين يعزز السرد إظهار عمليات الوعي والسلوك في زمن سابق، فيتم اعتماد تداخل الأزمنة التيارية في تشييد البناء الخارجي والداخلي للسرد " فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ " (آيه :٣٤) .

---

[١] اللسان : س خ ر .

[٢] التوقيف على مهمات التعاريف، شمس الدين بن الكمال : ٥٠، عالم الكتب القاهرة ١ط، ١٩٩٠.

[٣] اللسان : ه ز أ.

[٤] مبادئ علم النفس، محمد بن يونس، ٣٠٤، دار وائل للطباعة والنشر، ردمك، ٢٠٠٢.

٥ - وفي إطار عمليات التماري والمعاندة والمعارضة واتباع هوى النفس في ازوارها وكمال إعراضها، وفي ثنايا عمليات التكذيب والسخرية والاستهزاء تطلب الخوارق " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ " (الآيتان ٧-٨)

في (لمسوه) لون افتضاض لدخيلة نفس المجرم، حيث يتم التركيز علي عالمه الباطني بهدف الكشف عن الكيان النفسي وتصوير النوازع وما يصطرع داخل ذاته، و" اللمس وضع اليد على الشيء لمعرفة وجوده، أو لمعرفة وصف ظاهره من لين أو خشونة، ومن برودة أو حرارة .. إفصاح عن منتهى ما اعتيد من مكابرتهم ووقاحتهم في الإنكار والتكذيب" [١]، وفي التعبير باللمس تمهيد لما ورد بعده في قوله تعالى " قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ " لأن المظاهر السحرية تخيلات لا تلمس .. ومعنى " إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ " أنهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم . وهذا شأن المحجوج أن يتعلق بالمعاذير الكاذبة ، "وقالوا لولا أنزل عليه ملك " هذا خبر عن توركهم وعنادهم، وما قبله بيان لعدم جدوى محاولة ما يقلع عنادهم [٢]، فهي إذن درجات إصرار و كبر ممتدة لا يقتلعها حادث و لا يثنيهم عنها فاعل، ليتبدى وعي المجرم بجلاء، كله مكابرة، ومغالطة، وعناد لا سبيل إلي تبديله أو تغييره .

٦ - ثم إن أمر المجرمين ليخرج من إطار النأي إلي آفاق النهي " وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ " (الآيه :٢٦ الانعام) .

إن العزوف الذهني السلبي يتخذ هنا مسارا عمليا إيجابيا، حيث ينفتح السرد على آفاق الدراما الذهنية و الشعورية، إنهم إذ يجدون في محاربة الدعوة بشتى الطرق التي تبارح دائرة النأي إلي النهي، فهم إنما يجدون في حرب أنفسهم و إهلاكها و لكنهم لا يشعرون، فمع تجدد عمليات النهي و النأي التي مثلها السرد تصويرا واحتملها الشكل والمعني جناسا يرصد في النهي نأيا وفي النأي نهيا، وشكلتها صيغتا المضارع، من حيث تقدم النهي فيهما النأي، و من حيث بدا أن أحدهما يزاوج الآخر، فالمجرم يتحرك هنا وهناك ينهى و ينأى في مراوحة دؤوب تشي بتمام القلق والخشية التي تستحوذ على وعيه، إن النأي والنهي حركتان تقبضان في تواليهما بعطف الواو، واتفاق صيغتهما الصوتية، وتجانس لفظيهما .. على مستوى القلق النفسي، وخشية سلب السلطة والهيمنة، و إن التماسك الذي يبديه المجرم والذي ينعكس في صورة الموقف الواحد الثابت، ليشي إذن بنفس منقسمة على ذاتها، تكابد قلقا وحيرة وحصارا، تشكو انعدام التوازن السيكولوجي، فيخرج سلوكها عداء يتخلق نهيا و نأيا .

(ينهون عنه و ينأون عنه) العبارة هنا تحل الصورة محل الواقع، عبر جملتين مختزلتين إلي أدنى الأركان، فالجملة مركزة مكثفة، لا تصف بقدر ما توحي، ولا تفصل بقدر ما تجمل، ولا تفصح بقدر ما ترمز، فمع صيغة المضارع التي تستحضر الصورة، يستثمر السرد أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، حيث قامت المفردة بالتزامن مع الصيغة بنقل الصورة كاملة، متآلفه مع معانيها، منسجمة في تركيبها، متناسقة في نظمها، تحمل أداء تصويريا مشعا تبرز من خلاله فاعلية الحدثين المتقابلين : إبعاد الآخر / إبعاد النفس، بما ينطويان عليه من تشكلات ذهنية و نفسية.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٤٢/٧.

(٢) السابق :١٤٢/٧.

إن طبيعة السرد في الآيات تسمح بإيضاح طبيعة ذهن المجرم وعملياته الذهنية المتداخلة المعقدة، التي لا يثبت فيها الذهن عند فكرة أو شعور أو إدراك واحد لحظة زمنية واحدة، و الشخصية تبدو ضمن العرض هشة متخلخلة، منقسمة على ذاتها أنوات متصارعة، تقاسي قهرا و حيرة و حصارا و إحباطا .

إن التماري و الرفض و التكذيب و السخرية و الاستهزاء و طلب الخوارق و عمليات الإبعاد و الابتعاد جميعها سلوكيات تنطوي على انفعالات وعي غاب عنه العلم و التعقل، حيث بلغ القلق و التوتر مبلغه، من حيث انطوت دخيلة المجرم على صراع حاد بين رغباته الجامحة في السلطة ، و ميوله العارمة للهوى و الفساد المؤطر بالعادة و التحرر، والدعوة الجديدة المؤطرة بالتقيد و الالتزام، مما نجم عنه رفض قاطع للدعوة الجديدة بما تحمل من واقع عقدي يقوده العقل و يأباه هوى النفس، منتصرا للرغبة التي تنطوي عليها الذات بما تحمل من رؤى .

- و السرد يقدم واقع المجرم الباطني في الآيات معبرا عن أفكاره ومشاعره، منتقلا من الوصف الذي يقدم الحدث إلي ما يعبر عنه الحدث، الذي يعد طرحه في المتن اقتحاما لمنطقة الوعي، ومن ثم تتمازج اللغة مع الحدث في إطار آلية الوصف الذي تداخله تقنيات التذكر والمناجاة في مناطق التأزم، وسط عمليات تكسير زمني واسعة تتم في تناسق بديع ما بين الحضور الزمني والاسترجاع والاستباق في حالة من التداخل تنعكس من خلالها محتويات ذهن المجرم وأحاسيسه و أيديولوجيته في الحياة، ضمن تلك العمليات من المونتاج الفني التي تلتقط عبرها الصور، وتقترب المشاهد .

إذ انتقالات الزمن في المشاهد المعروضة ما بين الدنيا و الآخرة في إطار سرد المواقف سريعة متلاحقة، بالدرجة التي يمكن أن يقال عنها لا زمن، وهذا التعاقب الزمني والتداخل يحطم به السرد المسافات، ويتجاوز الأزمنة والأماكن، ليكرس حقيقة الدنيا سريعة الزوال، والآخرة الحقيقة والمنزل والمآل . إن ذات الشخصية في السرد القرآني إذ تعرض في وجودها الدنيوي فكثيرا ما تعالج في إطار حركتها الزمانية والمكانية، لتلون الزمان إذ يلونها، وتلون المكان من حيث يلونها، مما يحفظ عليها إنسانيتها ماديا وروحيا، وهو ما يتحقق عن طريق التعويل على عالمها الداخلي، فتتحقق ماهيتها الواقعية وأبعادها الرموزية الإشارية، لتؤدي وظيفتها الفاعلة بالبعدين معا .

* " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ " (الانعام :٢١-٢٤).

إن مراوحة الصوت بين السارد و الشخصية، و تلوين الخطاب بين تقنيات الوصف والتصوير والاستدعاء والمونولوج غير المباشر والحوار، وجملة الالتفاتات في الأفعال والضمائر .. جميعها سمات تيارية توغلت سرد تلك الآيات ضمن إطار زمني أتاح لشخصية المجرم أن تطوف بانفعالاتها لتأتي الصور العقلية أو الذهنية على شكل أجزاء متناثرة يفصل بينها وقوع الأحداث من حيث تعالج الشخصية في إطار حركتها الزمانية والمكانية.

ففي نقلة زمنية خاطفة يتخول السرد الأزمنة التي يسودها التداخل والشذرية مابين نكوص وارتداد إلي الماضي، وتطلع واستشراف للمستقبل، يحقق ضربا من الوعي اللازمني، فلا حدود هندسية ولا تاريخ ثابت، بل يحل الزمن السيكولوجي بتداخلاته محل الزمن القائم على التتابع والترتيب، فيتحول النسيج السردي إلي العناية بكشف خبايا النفس، والتركيز على ذهن الشخصية، وما يتناوب مستوياتها الشعورية،

بينما تتجاوز المشاهد الجمود، فلا تقف عند حدود البعد الأحادي للزمان و المكان، فتخرج صورا تموج بالحيوية.

حيث يكشف استيلاء الكلمات ذات الحقل الدلالي الواحد : افترى / كذبا / كذب / تزعمون/ كذبوا/ يفترون، واحتلالها لمساحة عريضة من التكرار وتنويع صيغها ما بين ثبوت الماضي، وديناميةالحاضر عن وعي المجرم، الذي تجتاحه رغبة عارمة في إيقاف مسيرة الدعوة .

فوعي المجرم إبان الرسالة يفيض في مجرى واحد، إذ الصدود وعمليات التكذيب والافتراء والزعم هي مجالات تفضح دخيلة نفس تنطوي على كراهية وعداء لمنهج يقوض عالم الاجرام،و يهد أركانه ومن ثم استخدم السرد ألفاظ الافتراء والزعم إلى جانب لفظ " كذب"، مما يستجمع درجات صدود وإعراض متغيرة، يعكسها السلوك .

والافتراء مرتبط بالقول، استعمله القرآن في صيغة (افتعل) مع مالها من "دلالات التصنع والتكلف والتزيد" [١] . و يربط ابن فارس بين معنى العجب، والكذب في دلالة (الفري)، يقول في أصل هذا الجذر : " الفاء والراء والحرف المعتل عظم الباب قطع الشيء، ثم يفرع منه ما يقارب من ذلك : فريت الشيء أفريه فريا، وذلك قطعه، ومن الباب : فلان يفري الفري، إذا كان يأتي بالعجب، كأنه يقطع الشيء قطعا عجبا . قال: قد كنت تفرين به الفريا، أي كنت تكثرين فيه القول وتعظمينه . ويقال: فري فلان كذبا يفريه، إذا خلقه " [٢] ، فالعلاقة بين دلالة (الافتراء) ودلالة (الكذب) تظهر في براعة صياغة الخبر، ومدى تأثيره النفسي إلى حد إظهار التعجب منه[٣] " .

أما الزعم فهو القول بلا دليل، ففي المقاييس : الزاء والعين والميم أصلان : أحدهما القول من غير صحة ولا يقين "[٤]، ومن الباب الزعوم، وهو من الجزور التي يشك في سمنها فتغبط بالأيدي . والتزعم : الكذب "[٥].

ففي الزعم دلالات : التكذيب أو الشك أو عدم المصداقية، إذ " الزعم : ظن يميل إلي الكذب أو الخطأ أو لغرابته يتهم صاحبه، فيقال : زعم بمعنى أن عهدة الخبر عليه لا على الناقل " [٦] .

فمن التكذيب خالصا، إلى التكذيب بالقول المؤثر إلي الزعم أو الادعاء الذي يخالطة الشك والذي قد يتهم قائله، هي درجات سلوك تنبئ عن وعي منفعل بالقضية يكرس عقله لصد نفسه وغيره، وقد شحنت نفسه عداوة وأضمرت حقدا دفينا ترجمه السلوك الذي تنوع ما بين تكذيب وزعم وافتراء .

و إذا كانت تلك خاصية نفسية وعقلية فريدة للمجرم، بدت في الدنيا، فعلى الطرف المقابل إذ يتخطى الآنى إلي المستقبل يقبض السرد على مايدهش ويثير التعجب إذ تستمر عمليات الكذب بصورة تدعو إلي الاستغراب،" والله ربنا ماكنا مشركين، انظر كيف كذبوا على أنفسهم "(آية ٢٤)، إن منطلقات وعي المجرم تبدو واحدة ووعيه الذهني و درجات انثيال الأفكار و تدفقها واحد لم يتغير، فتقابلية الكذب إذ تسير في خطين متوازيين : الدنيا/ الآخرة، فإنهما يلتقيان عند مفهوم الإجرام .

---

(١) الترادف الدلالي بين صيغتي افتعل وتفاعل (بحث)، خلف عايد الجرادات :١١٨-١١٩، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد ٩،عدد ٤. ٢٠١٣.

(٢) معجم المقاييس : ف ر ي .

(٣) الألفاظ القرآنية الدالة على الكذب (دراسة إعلامية)، زينب جمعة جاسم الساعدي | ٥٢، عدد٣٦، مجلة الباحث الإعلامي، العراق .

(٤) معجم المقاييس : ز ع م .

(٥) السابق : ز ع م .

(٦) التحرير والتنوير :١٧٥/٧.

والسرد ينقل حدث نصول المجرمين من تهمة الإشراك وادعائهم أنهم لم يكونوا مشركين نقلا حيا نابضا من خلال صيغة المنقول المباشر، فيوسع لضمير المتكلم ليتحكم بمنطق السرد وتفعيلاته، ويقدم الحدث من زاوية الشخصية، ومعطى كهذا من شأنه أن يقضي بصوغ السرد بلسان الأنا دون تغييب كلي للسارد الأعظم، إنما هو شكل سردي يذوب فيه السارد في المسرود، وتلتحم الأحداث، ليبدو النص وحدة سردية متداخلة، وهو انعكاس لفكرة الانسيابية المتدفقة لرؤى و أفكارالشخصية، حيث يتوفر السرد على تصوير العمليات الذهنية وأجوائها الغامضة في حالة فيضان وفي مستوى لا شعوري عميق يطرح في السرد موثقا بلسان الشخصية .

" قالوا: والله ربنا ماكنا مشركين "، ذكرهم الرب بالإضافة إلى ضميرهم مبالغة في التنصل من الشرك، أي لا رب لنا غيره . وقد كذبوا وحلفوا على الكذب جريا على سنتهم التي كانوا عليها في الحياة، لأن المرء يحشر على ما عاش عليه، ولأن الحيرة والدهش الذي أصابهم خيل إليهم أنهم يموهون على الله تعالي فيتخلصون من العقاب "[١].

تلك لقطة فريدة على أرض المحشر، لا يبررها إلا عمليات الكذب و الافتراء و الادعاء التي مارسها المجرم في واقعه الدنيوي حد العادة، حتى غدا اللسان كذوبا في الحياة الآخرة كما كان في الحياة الأولى، لقد مرد المجرمون على الكذب في الدنيا، فاستداموا عليه في الآخرة ؛ فهم " أكذب الناس، بكذبهم يوم المحشر بعد انكشاف الغطاء "فقال : (ويوم) أي اذكر كذبهم على الله وتكذيبهم في هذه الدار، واذكر أعجب من ذلك وهو كذبهم في عالم الشهادة عند كشف الغطاء وارتفاع الحجب "[٢] . إن المشهد يسخر تيار الوعي بإمكانياته الدينامية، و جملة الطاقات الذهنية، لتصوير سكونية الذهن و اجتراره فكرة واحدة، لا يحيد عنها عبر مستويات الزمان.

هو على أية حال وعي شخص كاذب حائر مدهوش بائس، لا يجد مفرا و قد أحصر من كذب هو اعتذار او انكار، بل ربما تضاعفت وطأة اللحظة على المجرمين بالقدر الذي أنساهم لهول ما هم فيه ماكانوا عليه " (و ضل عنهم ما كانوا يفترون) أي غاب عن ذاكرتهم فنسوا ما كانوا يفترون من قول منهم " [٣]، فهم قد " سلبوا علمه حينئذ دهشا وحيرة " [٤] .

* تتبدل المشاهد، وتتحول زاوية الرؤية، ويتم التركيز على لقطة جديدة، ها هم في الدنيا و ما طفقوا يسمعون له ﷺ ولا يفقهون له قولا، وبينما هم في انهماكهم يزودون عن حياض سلطانهم نأيا ونهيا، إذا هم في أبعد مسافات ساحة الحشر وأقصى زمانه وقد وقفوا على النار، فتولت كل مراوغة وانتهى كل استعطاف، وتبددت جملة الاعتذارات، لقد تولت لحظات الخداع، وأسفرت الحقيقة عن وجهها إذ " وقفوا على النار "، فها هم وقد حبسوا علي النار لا يملكون فرارا وتوليا وإعراضا، ولا يستطيعون جدلا ومغالطة ؛ إنهما مشهدان متقابلان ودرجات وعي متعارضة ؛ صفحتان إحداهما في الدنيا يرتسم فيها العناد والاعتراض والأخرى يرتسم فيها الندم والحسرة " وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

---

[١] السابق : ١٧٧/٧.
[٢] السابق :١٧٧/٧.
[٣] زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة : ٢٤٧٠، مجمع البحوث الإسلامية،الأزهر، دار الفكر العربي .
[٤] روح المعاني، الألوسي : ١١٨/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥/ ١٩٩٤ .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (الأيات ٢٨:٢٥)

هم يستمعون القرآن معطلي الادراك، مطموسي الفطرة، معاندين، مكابرين، يجادلون رسول الله عليه الصلاة و السلام وهم على هذا النحو من الاستغلاق والعناد، ويدعون على هذا القرآن الكريم أنه أساطير الأولين، وينأون عن سماعة وينهون غيرهم عنه أيضا .. يصور حالهم هكذا في الدنيا في صفحة، وفي الصفحة الأخرى يرسم لهم مشهدا كئيبا مكروبا، وهم موقوفون على النار محبوسون عليها، وهي تواجههم بهول المصير الرعيب، وهم يتهافتون متخاذلين، ويتهاوون متحسرين، يتمنون لو يردون إلى الدنيا فيكون لهم موقف غير ذلك الموقف، الذي انتهى بهم إلى هذا المصير فيردون عن هذا التمني بالتصغير والتحقير " [١].

إن إيغالهم في الإعراض الذي يتجلى في التعبيرات : على قلوبهم أكنة أن يفقهوه / في آذانهم وقرا / إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها .. كل ذلك حري بأن لا يجادلوه في الأمر صلى الله عليه و سلم، بيد أنهم مع كل مستويات الرفض والتجاهل والإعراض لا يتركون منفذا موجعا واتهاما باطلا إلا ألحقوه به عليه السلام و بدعوته ، إنها مستويات متعارضة من الوعي تشكل سلوك المجرم، وإن تعارض الوعي والسلوك في الدنيا يقابله تعارضا ما بين السلوك والوعي في الآخرة " وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ "، فهؤلاء لا تغيرهم المواقف، إنه الإصرار كاملا يبتدى في صورة المجرم ويتحكم في وعيه وجملة انفعالاته، و لو تجلت الحقائق و انكشفت حجب الشك.

* و قالوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ " (الآيات ٣١:٢٩)

ما بين إنكار للبعث، وتحقيق وجوده يتحرك المشهدان في لا زمن، في اندماج ما بين وصف يصور ويوحي ويشير، وحوار يصدق على المقولات، ويبعثها حية حاضرة ماثلة .

إن إنكارهم في الدنيا يحمل في طياته شعورا بأمانهم فيها ودعة الركون إليها، وثقة تبدد مخاوف الحساب، بل تستبعده بالكلية، ومن ثم ينتقل المشهد في اللازمن يحقق للبعث والحساب وجوداً، ويحول صورة المتكبر الآمن المستريح، إلى واقف متعب على النار، إنه الحق الذي يزلزل الحسابات ويهز الثقات، ولكن هيهات للمجرم أن يعيره التفاتا هيهات .. أما وعي المجرم في الآخرة في تلك اللحظات فيرصده المشهد : " أليس هذا بالحق ؟ السؤال الذي يزلزل ويذيب .. فيجيبون إجابة المهين الذليل (بلى وربنا) .. ثم يمضي السياق يرسم مشهدهم والساعة تأخذهم بغتة بعدما كذبوا بلقاء الله، فتنتابهم الحسرة، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم !و في النهاية يقرر حقيقة وزن الدنيا والآخرة في ميزان الله الصحيح "[٢].

إن انفلاتات زمنية عجيبة تستوعبها هذه المشاهد، فها هي حالتهم في الدنيا " إن هي إلا حياتنا الدنيا "، ثم ها هم في اللحظات الحاسمة في زمن الحشر " وقفوا على النار "، ثم عودة إلى الدنيا " كذبوا بلقاء الله "، ثم ها هي الساعة في لحظاتها الأولى تجيء بغتة، ثم ها هي صورتهم يحملون أوزارهم .. إنها جملة

[١] في ظلال القرآن : ١٢٦٦ .

[٢] في ظلال القرآن : ١٢٦٧ .

من لحظات آنية وقادمة، بل إن السرد يتنقل زمنيا في لحظات يوم الحشر ومواقفه ما بين استباق واسترجاع فمن وقوف المجرمين على النار، إلى رجوع للحظات قيام الساعة، إلى انتظامهم على أرض المحشر محملين بالأوزار.. هي حياة تمتد في الزمان ما بين الدنيا والآخرة، وتمتد في العوالم فتشمل الوجود المشهود إلى وجود مغيب لا يعلم حقيقته كلها إلا الله . وما بين المستوى المعهود والمجهول يمتد وجود الشخصية " في هذه الأبعاد من الزمان، وفي هذه الآفاق من المكان، وفي هذه الأعماق والمستويات من العوالم والحيوات .. ويتسع تصورها للوجود كله، وتصورها للوجود الإنساني، ويتعمق تذوقها للحياة، وتكبر اهتماماتها وتعلقاتها وقيمها، بقدر ذلك الامتداد في الأبعاد والآفاق والأعماق والمستويات .. بينما أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة، يتضاءل تصورهم للوجود الكوني، وتصورهم للوجود الإنساني، وهم يحشرون أنفسهم وتصوراتهم وقيمهم و صراعهم في ذلك الجحر الضيق الصغير الضئيل من هذه الحياة الدنيا! " [1]، فبقدر ما اطمأن المجرم إلى الدنيا إذ هي في خاطره و مستقر ذهنه الدار التي لا دار بعدها، ضيق على نفسه وحصر جملة اهتماماته بها هي وحسب فغدت سلوكياته من هذا المنطلق، الزمن الواحد والمكان الواحد والحياة الواحدة .

إن الزمن هنا هو الشخصية الرئيسة، يتمظهر عبر حركة المواد الذهنية ضمن إطار سيكولوجي، و هذه المواد الذهنية تبدو ديمومتها في صورة تلك الشبكة الزمنية المتداخلة المتعالقة حيث تتدفق الأفكار و المشاعر داخل الذهن تدفقا ممتدا يعتريه التغير و التبدل بتبدلات الأزمنة و المواقع، مما يترتب عليه انغماس الشخصية في درجات من الإبهام و الغموض التي تشي بأجواء ذهنية مشوشة .

هذه الوقفات الثلاث وثيقة الصلة بذهنية المجرم و طبيعته الراسخة التي استدام عليها في دنياه، و المونتاج إذ يجتزيء المواقف متنقلا بينها فإنه يرصد بالدرجة الأولى جملة تحولات وعي الشخصية، و هو إذ يسلط الضوء بدقة عالية على اللقطة المهمة، فإنه في الوقت ذاته يرصد انفعالات الشخصية و تيار وعيها في المواقف المتدرجة زمانيا و مكانيا، إذ تبدو الشخصية بداية و هي تمارس خداعا اعتادته و مكرا طالما مارسته، بيد أن تبدلات الزمان و المكان الضاغضة ومعاينة العذاب تعصف بهذا كله و تبدده . فما تنكره الشخصية في أول الحشر ما تلبث أن تقر به ثم ما تلبث أن تعتذر عنه ثم تندم و تتحسر، هي جملة تحولات في وعي الشخصية وشت بها تلك اللقطات و تتابعية الرصد في الآيات.

ثانيا : نماذج الإجرام

" كذلك سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (الشعراء :٢٠١:٢٠٠)

.

هذا تعقيب يرد بعد ذكر أحوال المجرمين، وصنائعهم في الدنيا، في عرض لقطارهم تختتمه الآيتان، وإذا ما كانت الآيات، التي تقدمت الآيتين، تعرض لحياة المجرمين على الجملة والإطلاق، فها هنا جماعات من المجرمين، ذكر النص لكل جماعة منهم جرما بذاته، و رصد لكل منهم ذهنية خاصة معينة، و جملة خواطر و أفكار، فيما قدمه السرد لوحات مبهرة مكثفة تتتابع بخصوصيتها صورا في خيال المتلقي .

فالآيتان تردان بعد تتبع لمسيرة المجرمين، اختصارا لجملة وقائع وأحداث، تعبر عن عمقهم وإدراكهم، إذ يطوف السرد مستطردا ليعكس طبقات المجرمين من خلال مواقفهم مع الأنبياء في مشاهد

[1] السابق : ١٢٦٨ .

وحلقات، خائضا في دهاليز نفس المجرم، منقبا في خبايا عقله، يلتقط دخيلة نفسه في لحظات اهتزت فيها الأرضية الثابتة، والمبادئ القارة، والأعراف المتحكمة التي تناقلتها الأجيال خلفا عن سلف .

ففي قفزات زمنية متوالية، يتم رصد جملة انفعالات تولدت عنها عدة أفعال في أزمنة وأمكنة متباينة، حيث يغدو الاجرام حالة عامة وخاصة في آن، فعبر دعوة التوحيد، ومن خلال شخصية كل نبي، ينقلنا السرد ما بين حقول زمكانية لها خصوصيتها في أبعاد الإجرام وبواعثه، فيما تكرسه المفردات، حيث تكاد تقابلنا في كل المواقع بنية لغوية واحدة، وجملة ألفاظ متكررة، و حيثما تتبدل الشخصيات وتتغير، تظل الوظائف ثابتة، تعبر عن قصة واحدة تشكلها ثلاث وحدات سردية : الدعوة إلي عبادة الله الواحد /التكذيب/ الهلاك . فيما ترصده السطور الآتية :

- (الفعل)

(إذ) قال لهم .. أخوهم (نوح- هود- صالح – لوط) (قال لهم شعيب).
إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون
وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين .
(الآيات : ١٠٧:١٠٩/١٢٥:١٢٧/١٤٣:١٤٥/١٦٢:١٦٤/١٧٨:١٨٠).

- (رد الفعل)

كذبت .. قوم (نوح- لوط)(عاد) (ثمود) المرسلين
كذب..أصحاب الأيكة المرسلين.
(الآيات : ١٠٥:١٠٦/١٢٣/١٢٤/١٧٦) .

- (رد فعل رد الفعل)

أ- (نوح) " فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، ثم أغرقنا بعد الباقينِ " (١١٩:١٢٠) .
ب- (هود) " فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ " (١٣٩) .
ت- (صالح)" فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ " (١٥٨)
ث- (لوط)" ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٢:١٧٣)
ج- (شعيب) " فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (١٨١)

إنه إطار سردي تذوب فيه الشخصية في نظيرتها، والحدث في الآخر، فيصير النص وحدة سردية متلاحمة، فتلك نفسية واحدة وعالم واحد، و إن تعددت الأفعال و تغايرت الأحداث ، والنظم في الآيات إذ يقتفي أثر المعاني، فإنه كاشف عن درجات وعي وسلوك واحدة، حيث يركز السرد على رد الفعل قبل الفعل، فيستهل قصة كل نبي بحدث التكذيب، فالمشارب إذن وإن تعددت واحدة، وصنوف المخالفات وإن تباينت وتنوعت فإنها جميعا تنتح من معين واحد " مجرمين "، وتلتقي عند انفعال حقق سلوكا واحدا " كذبت /كذب "، و التكذيب سمة المناهضين للدعوات، وقاعدة انطلاقهم، وهو رد الفعل الثابت الذي يتحركون من خلاله لدحض الدعوة ومحاربة النبي، وتاء التأنيث التي ظهرت فى مادة "كذب" مكررة

مرات أربع لتفصح عن المستوى النفسي، وتصور طبائع المجرمين، وتجسم خواطرهم إذ التذكير هو الأشهر بينما جاءت التاء هنا " للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال" [١] .

و تكذيب المجرمين بعموم دعوة التوحيد، والآيات، ويوم الحساب فيما يجمله الجمع المنكر (رسالات) مرده طبيعة الدعوة " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (الأنعام : ٣٣)، " وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ "(المدثر :٤٦) هو تكذيب ممتد يطال رسل الله و آياته و يوم الحساب تلخصه أفعال مشحونة بالعناد والإصرار والاستكبار .

و التكذيب سمة مصورة لمحتوى المجرم الذهني تدفع بخوائه العقلي، وفراغه الذهني، فهؤلاء لم ينطلقوا في تكذيبهم من بوابة العلم أو المنطق، بل انطلقوا من نافذة الجهل " بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ (يونس : ١٩)، فلجأوا إلى التكذيب قبل أن يتفكروا أو يتدبروا، فيما يكرسه في نظم الآيات حرف "إذ" المكرر خمس مرات، ليصحب كل دعوة من الدعوات الخمس، فهم إنما يبادرون إلى التكذيب بمجرد استقبال الدعوة، "فلم يتأنوا بطلب دليل ولا ابتغاء وجه جميل" .[٢]

إن مسار الدعوات إذ يقابل بالطعن والرفض و التكذيب لينبيء عن جملة انفعالات لفئة المجرمين، فالسرد يقدم تشريحا نفسيا، إذ يفتح المجال لظهور ما تخفي صدور خصوم الدعوة، دعاة الباطل، حماة الفتنة والخلاف، يكشف عن انحرافهم و فساد بنائهم الفكري والنفسي، واختلال توازنهم السلوكي العملي .

المتن السردي يقدم عبر شخصيتين متوازيتين فاعلتين : النبى / المجرمين، مما يدعم مكانة كل شخصية فى إطار دورها المخولة به، حيث يبدو التيار محققا فى تصوير النبي فى أعلى درجات التفكير العقلاني المنظم والتوازن النفسي الذي تحققه لغة منطقية حجاجية متماسكة، مقابل تفكير المجرم الذي يفتقر إلى العقل والمنطق، لتبدو شخصية المجرم متميزة بعقلية طغى عليها الجهل . حيث تصب مخالفات المجرمين في ألفاظ معبأة فيضا من المشاعر و الانفعالات في إطار السلوك، فثمة كلمة بذاتها في كل مخالفة أو ربما عدة كلمات ترصد بدقة تيار وعي كل جماعة من تلك الجماعات، و تفضح بناءها الذهني.

١ - ففي قصة نوح، عليه السلام، تتكفل لفظة" الأرذلون " بإيضاح المخالفة، ونقل المحتوى الذهني، والبناء النفسي للمجرمين إذ يرفضون الاستجابة لدعوته" أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ" (الشعراء:١١١)، وفي اللسان " الرذل و الرذيل والأرذل : الدون من الناس، وقيل الدون في منظره وحالاته، وقيل هو الدون الخسيس، وقيل هو الرديء من كل شيء. ورجل رذل الثياب والفعل والأرذل من كل شيء : الرديء منه "[٣]، وفي الكشاف " والرزالة والندالة الخس والدناءة و إنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا " [٤]، هؤلاء هم السفلة من الناس دون الكبراء والأشراف، فالأرذلون عندهم من هم دونهم، و الكلمة ترصد استكبارا و تكشف قدر التعالي و الطبقية التي يربأ صاحبها بنفسه عن التساوي بالفقراء، إذ هم "المؤخرون في الحال والمال والأحوال والأفعال، فيكون إيماننا بك سببا لاستوائنا معهم" [٥].

إن السرد بلفظ (الأراذل) يقبض على ملمحين عقليين، فمن ازدراء للطبقة الدونية في المجتمع، واستشعار للعلو والكبرياء، إلى اتهام بأنهم إنما اتبعوا نوحا بعلة كونهم أراذل، يفتقرون إلى العقل والمنطق، إذ هم أصحاب الصناعات (كالحياكة وأهل الصنائع الخسيسة، قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك

---

[١] نظم الدرر: ٦١/١٤ " أو أنهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه أهون شيء وأضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا ".
[٢] السابق : ٦١/١٤ .
[٣] لسان العرب : ر ذ ل .
[٤] الكشاف، الزمخشري : ٧٦٥، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩ .
[٥] نظم الدرر : ٦٣/١٤ .

الأكياس من الناس والأشراف منهم "[1] ومعنى الكلام إن كنت على حق لاتبعك العقلاء وأهل الرأى السديد والمفكرون منا لا أراذلنا السفهاء.

سمة الاستعلاء، هى السمة الانفعالية هنا التي تحكم السلوك وتوجهه، فهم من تكذيب للرسالة بمجرد العرض إلى تسفيه الأتباع بدعوى التدني المادي والقصور العقلي، إلى مقابلة البراهين والحجج باستضعاف صاحب الدعوة" قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ " (الشعراء ١١٦).

٢ - وفي قصة نبي الله هود، يتوقف السرد بالوصف لدى عقول أناس طغى عليها حب الدنيا، فبغوا وتجبروا، وفشا طغيانهم حتى عم المادي والمعنوي، الجماد والإنسان، يحركون الأشياء بين أيديهم ويطوعونها وفق هواهم، فيعبثون إذ يبنون فوق المرتفعات أبنية يجعلونها كالعلامات قصد التفاخر و التطاول بالمقدرة وصنوف المهارات، حياتهم ترف وزينة وإبهار بالبراعة والمهارة، وقد اتخذو المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشييد العلامات على المرتفعات بغية الخلود في الدنيا، وأما طبائعهم "فهم عتاة غلاظ يتجبرون حتى يبطشون، ولا يتحرجون من القسوة في البطش . شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكونها"[2]، فجملة أعمالهم تمحضا للشغل بأمور دنياهم، وإعراضا عن التفكر في أخراهم، و إنما انصرفت هممهم إلى التفاخر والتعاظم والغرور، والانشغال بالتلهي، و إرضاء الهوى، والإقبال على الملذات . حيث يفيض وعي المجرم شغفا بالدنيا يكرسه المضارع (تعبثون) " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ " (آيه : ١٢٨)، " (تعبثون) على معنى تعبثون ببنائها لما أنهم لم يكونوا محتاجين إليها، و إنما بنوها للفخر بها . و العبث ما لا فائدة فيه حقيقة أو حكما "[3] . فلطيف أحوالهم مبارزة لله الملك القهار بالعظائم " وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ "(آية ١٣٢)، وكثيفها كونهم مسرفين متجاوزين، بحيث غدا ذلك لهم خلقا، فأسرفوا في ارتكاب المعاصي وأقدموا على اجتراح المفاسد التي لا صلاح معها .

٣ - ويوقفنا السرد في قصة صالح، عليه السلام، على لمحات نفسية، وبوادر ذاتية تملكت قومه من المجرمين، إذ فشا فيهم حب الدنيا والإقبال عليها، فأعرضوا عن عبادة الله، وأنكروا البعث وغرهم أيمة الكفر، أما إعراضهم فقد بني على تلك الشبهة التي ظلت تخايل البشرية عند كل رسالة " مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا "، فسكنت نفوسهم للدنيا متعاظمين فيها لاهين، " وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ " (١٤٩-١٥٢)، فهم لا يروعهم من النعم فوت، ولا يزعجهم سلب ولا يفزعهم تغير، حتى آية الله اعتدوا عليها عقرا كان لهم نذير عذاب، و السرد يكرس آفتهم في اتباع أمر المسرفين، و هم كبراء و أعلام الكفر و الضلال، في كمال إفسادهم،إفسادا تاما لا يخالطه صلاح .

ثم إن السرد يستجمع طرفا من حالهم لما رأوا أشراط العذاب الذي توعدهم به صالح " فأصبحوا نادمين "، إنه ندم الخوف الذي تأخر، هو ندم اللحظة العارضة وقد حل العذاب " فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب "، لقد حل بهم العذاب سريعا عقب الندم، وما ندموا إلا بنذره .

فما يحرك وعي الشخصية هنا هو استشعار العزة والاستكبار الذي يخلد بصاحبه فى مراتع الرفاهية التي لا يخشى معها تلف، ولا يراقب فيها عروض و لا تبديل .

---

[1] السابق : ٦٣/١٤.
[2] في ظلال القرآن : ٣٠٣٢ .
[3] روح المعاني : ١٠/ ١٠٧.

٤ ـ القصة ذاتها تتكرر مع قوم لوط عليه السلام، إنه استعلاء البشرية على القوانين الربانية، وتحكيم قانون وضعي يخالف الناموس الكوني العام، والفطرة التي ركبها الله في بشريته لتحقيق سنة الإعمار، بشذوذهم الذي تعافه النفوس،و إن الاستكبار هنا ليتخذ صورة جديدة، جديدة على مخالفات البشرية، كلها مجافاة للنهج الإلهى وعدوان على الفطرة وتجاوز للحكمة المكنونة فيها . و إن هوية تلك الشخصية ليكرسها القول الكريم " : بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ "(الآية : ١٦٦) .

و العادي : هو الذي تجاوز حد الحق إلى الباطل، يقال : عدا عليه، أي ظلمه، وعدوانهم خروجهم عن الحد الموضوع بوضع الفطرة إلى ما هو مناف لها محفوف بمفاسد التغيير للطبع "[١] ، "فالعادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد .. أي أنتم قوم متعدون متجاوزين الحد في جميع المعاصي .. أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم على سائر الناس بل أكثر الحيوانات "[٢]، عبر عن ذلك بالجملة الاسمية، مبالغة فى تحقيق نسبة العدوان إليهم، "وفي جعل الخبر " قوم عادون"، دون اقتصار على "عادون" تنبيه على أن العدوان سجية فيهم حتى كأنه من مقومات قوميتهم "[٣] .

٥ ـ أما خطيئة أصحاب الأيكة فهي الشرك والتطفيف في الكيل والميزان، "و لا تبخسوا الناس أشياءهم"، في الكشاف " يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه و منه قيل للمكس البخس "[٤]، "لا تبخسوا الناس أشياءهم أي: لا تنقصوهم من حقوقهم أي حق "[٥]، إنه لون آخر من التعدي على الحقوق يتجلى في صورة فسادهم التجاري، و تطفيفهم و مضارباتهم و طبيعتهم الخداعة، " فقد كانوا مع شركهم بالله يطففون المكيال والميزان ويبخسون أشياء الناس إذا ابتاعوهم، ويفسدون فى الأرض . فأما تطفيف الكيل والميزان فظلم وأكل مال بالباطل، ولما كان تجارهم قد تمالؤوا عليه اضطر الناس إلى التبايع بالتطفيف " [٦] .

إنه لون آخر من ألوان التجبر والتعالى على البشر بالتحكم في الأرزاق والاعتداء على الحقوق " وقد كان شأنهم ... أن يطففوا في الميزان والمكيال . وأن يأخذوا بالقسر و الغصب زائدا عن حقهم، ويعطوا أقل من حق الناس، ويشتروا بثمن بخس ويبيعوا بثمن مرتفع "[٧]،وإن هذا التعدي والتحدي ليبلغ مداه باستهتارهم الهازئ المستهين " فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ " (آية : ١٨٧) .

إن المشاعر و الانفعالات التي تجيش و تفيض في طوايا المجرمين، لا تزال تتنقل من مسيل إلى آخر، مرتهنة بالمواقف ذات التأثيرات العميقة في المشاعر . و البطل الحقيقي ليس فردا بذاته تدور على ساحة إجرامه الأحداث، وإنما البطل هو القانون التاريخي الذى يكرس عقيدة المجرم وأخلاقه وسلوكه، البطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال كل مجرم وأفعاله، فالبطل في هذه القصص جميعا واحد وهوا انعدام التقوى، و الرفض و عدم الانصياع " فاتقوا الله وأطيعون"، والإجرام يمارس داخل جماعة لها قيمها و مبادئها، تسير على هدي أفكارها وبراهينها العقلية وفق منطقها الخاص .

ـ الفصل الثاني (الأخير) : الحياة الآخرة

[١] التحرير والتنوير: : ١٨٠/١٩.
[٢] روح المعاني :١١٤/١٠.
[٣] السابق : ١٨٠/١٩.
[٤] الكشاف : ٧٦٩ .
[٥] روح المعاني ١١٧/١٠.
[٦] روح المعاني : ١٨٤/١٩.
[٧] في ظلال القرآن : ٣٠٣٩ .

حياة من فصلين لا يسبقهما ثالث و لا يتوسطهما و لا يلحق بهما .. فصلان جماعهما في حضور الأحداث و صدورها عن وعي الشخصية : الفعل / رد الفعل (العمل / الجزاء)، ملخصهما على محور النفس : الوعي / الوعي المضاد .

فإذا ما كانت "عداوة الأنبياء" عنوان حياة المجرم الأولى، بكل ما ينضوي تحت هذا العنوان من أفكار باطنة و جملة تفاعلات ذهنية للمجرم مع بيئته، فعنوان حياته الآخرة قوله تعالي :" إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ " (طه :٧٤) .

بهذه السرعة الخاطفة تنزع المسارات، وتطوى المراحل والمسافات، ويتم تجاوز المحطات، وتختزل صيغة الفعل والعقاب، الدنيا بأسرها والآخرة بخلودها . ثمة خيط يلم بأطراف الأحداث التي تمتد ما بين الحياة الدنيا إلى الممات و حتى الحساب فالعذاب .. يتخطاها المشهد في تواليها وتراتبها، ممتدة ما بين أيام تكذيب و إعراض و نهي و نأي و استكبار و استهزاء ...، إلى لحظات صعود الروح، ثم البعث، فالنشر، والحساب، خلوصا إلى العذاب، بكل ما تختزن تلك المواقف من خصائص نفسية، ليمسك السرد بأول الخيط و آخره، بينما تتناثر سائر الأحداث علي امتداد النص القرآني، تناثرا مرتبا دقيقا في مكانها الأليق ومجالها الأوفق .

(من يأت ربه مجرما / فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا)، جملة الشرط هنا المصدرة ب (من) [1] نزعت عنصري الزمان و المكان، ليغدو الإجرام ممتدا بلا وطن ولا زمن، كل من يأت ربه مجرما، فله جهنم، بالتوكيد و بالصيغة الاسمية التي تفيد اللزوم، عبر النص عن نتيجة تلك القضية وأخرجها حكما مقررا قاطعا ثابتا، لا يقبل تغييرا ولا تبديلا .

فما بين انفتاح حركة الرجوع وتجددها وتعاقبها زمنا بعد زمن، وأفرادا بعد أفراد، وجماعات تلو أخرى و مكانا يتلوه آخر، يرسم المضارع (يأت) المصدر ب(من) الشرطية، صورة قطار المجرمين وعقدهم المتصل عبر الزمان و المكان، ويفرض واقعا أخرويا واحدا لهم، و يحيي بمضارعيته الحدث و يضفي عليه حركة و تدفقا و استرسالا، و يوقف العقول على تمام القدرة الإلهية في البعث و النشور، فإلى جانب دلالة الوصول المادية الحركية للفعل فإن فيه إشارة إلى السهولة و اليسر، و من ثم يعزز القرب المكاني، و ينبه على الزمن المتصل بالحدث، بينما تكرس مفردة (ربه)، على صعيد متصل، كل معاني التأنيب و التوبيخ .

و مع لفظة (مجرما) المفردة المنكرة يقدم السرد حياة عقلية ووجودا نفسيا متجاوبا متوافقا بين فصائل الإجرام و يدفع بهما إلى المتلقي، فإذا كانت لكل نفس بصمة تتميز بها و تعرف، فإن شخصية المجرم التي شكلها المصطلح هنا هي تماهي مستويات وعي عديدة كل في عالم الآخر، ليتم رسم ملامح النموذج و تعرية بنائه النفسي الذي يغدو إطارا ينضوي تحته الأفراد وفق قواسم وعي عامة تكرسها منظومة الضلال .

أما العقاب الذي هو جهنم التي لا حياة فيها ولا موت، فملمح نفسي عميق الغور، يحمل في طياته خصوصية شقاء من تنكب سبيل الرشد عنادا و تبجحا و استهانة، إنه شقاء الأشقى الذي لا شقاء يماثله، ففي اتحاد الألفاظ في موقعي القرآن " سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ (الأعلى:١٠-١٣)، إحالة إلى فرادة سلوك المجرم و فرادة عقابه، فها هنا لون من العذاب لاحق رأسا بالمجرمين، لن تعاينه منسحبا على فصيل آخر سواهم، إنها خصوصية عذاب أشد الفئات عداوة للأنبياء، وأقطعهم صلة بربهم، و أبعدهَم مجالا عن دائرة رحمته. تلك

---

[1] و " كلمة (من) في معرض الشرط تفيد العموم " روح المعاني : ٨ /٥٤٤ .

الفئة التي قضى النص بأنها الأشقى، و الشقاء عذاب للنفس منه النصيب الأوفر، و المجرمون أشقى العباد عذابا يوم القيامة .. هؤلاء الذين أترفوا في الدنيا و فرحوا بها و اطمأنوا، إذا هم يوم القيامة في أعلى مراتب المشقة و المعاناة و العسر، لا يعاينون سهولة و لا سعادة، و قد امتنعت عنهم مسالك الخير و الصلاح و الكمال، هم في محيط مادي و قد خولط عيشهم بالعناء و التزاحم و الشدة، فهم " على حالة مضيقة و عناء و شدة روحية"[١] .

و هذا الصنف من العذاب إذ يكرس شقاء و معاناة و عسرا، فإنه على طرف أخر يلخص فصولا لا تنتهي من حالات السأم و الضجر التي لا يمنحها العذاب فضلة لاسترواح و لا مهلة لفكاك، " الصورة محسوسة من جانب تلقي ظلا غير محسوس من الجانب الآخر .. و أما الظل فهو الحالة النفسية لهذا الذي لا يموت فيستريح، ولا يحيا فيستمتع، و تستطيع أن تكتب السطور الطوال في وصف ذلك العذاب، فلا تبلغ مابلغته هذه الفقرة وحدها .. فتلك صورة جديدة لا موت فيها ولا حياة . وهي تتعمق في المشاعر في صمت ورهبة، لتحرك فيها الإحساس بالحيرة والقلق الغامضين من تلك الحال، التي لا نهاية لها في الواقع ولا في الخيال " [٢] .

تسترسل جملة الأحداث و تتعاقب المشاهد بتعاقب الحركة و مراحل الانتقال من موقف إلى آخر . تستقصى المواقف إذ يضع السرد القرآني المطالع لأحوال المجرمين يوم القيامة حيال جملة من المشاهد التي ترصد واقعا تتعاوره جملة أحاسيس و مشاعر هي بالضد و النقيض مما استشعروا في واقعهم الدنيوي، هي حالة من دأب عذاب بدني و نفسي يقابل حالة دنيوية من دأب أنفق صاحبه جهده ووقته في دحض الرسالة و مناهضتها و إعاقة انتشارها ..، فيما ترصده المشاهد التالية :

أولا : عند قيام الساعة

١- وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) (الروم :١٢-١٤) .

يتقاطع التقابل الأخروي و الدنيوي هنا عند لفظة (المجرمون)، هؤلاء الذين قطعوا من أسباب الآخرة ما هو جدير بأن يوصل لبقائه، ووصلوا من الدنيا ما حقه أن يقطع لفنائه .

والإجرام الذي مورس في الدنيا من هؤلاء الذين " كانوا في غايه اللبس في الجدل ومعرفة ما يغيظ الخصم من القول والفعل والتمايل والتضاحك عند سكوت الخصم تعجبا من جريانهم في هذيانهم سرورا منهم بإسكاته "[٣]، يمثل هنا مقابله في لفظة (يبلس)، فهؤلاء الذين ما وصفوا بالإجرام إلا لفداحة ما ارتكبوا من ذنوب وآثام، إذا بهم في لحظة فارقة يبلسون، حيث تجتمع دواعي اليأس والحيرة والسكوت متجاوبة مع انفعالات الترقب والانتظار وتوقع السوء، وقد خاب الرجاء في الشركاء وانعدم منهم العون، في مقام تحقيرهم الذي يجعل من عدم جدوى الشركاء سببا من أسباب إبلاس المجرمين، إذ لا مخرج لهم من شدة ما هم فيه و لا معين، إن المجرم هاهنا يقضي أوقاتا عصيبة من الفوضى و البعثرة، يقاسي التشتت، يعاني غموض الراهن و الحاضر، و قد أسقط في يده فما عاد يعينه شريك و لا ينقذه شفيع .

قال الزمخشري :" الإبلاس أي يبقى ساكنا متحيراً . يقال: ناظرته، فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج . ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو "[٤]، و في المفردات " بلس : الإبلاس الحزن المعترض من شدة

---

(١) التحقيق :١١٧/٦. و لم يرد هذا الوصف للعذاب في النص القرآني إلا في هذين الموضعين منصرفا إلى المجرمين.
(٢) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب : ٧٠، دار الشروق، ط١٦، ٢٠٠٦ .
(٣) نظم الدرر : ٥٥/١٥ .
(٤) الكشاف : ٨٢٦ .

اليأس"[1] ."الإبلاس إفعال بمعنى اليأس الشديد إذا كان من سوء عمله، و أوجب حزنا، و ابتلاء شديد مع الخفض و الفقر الشديد.. و لما كان أفعل يدل على نسبة المادة إلى الفاعل على وجه الصدور بمعنى أن النظر فيه إلى جهة القيام و الصدور . فيستفاد من هذه الهيئة الاختيار و إرادة العمل .. فمعنى أبلس : من قام به اليأس و صدر منه، و هذا بخلاف يئس فإنه بمعنى من ثبت و تحقق له القنوط . يبلس المجرمون أي يتقوم بهم اليأس الشديد التوأم بالخفض و الفقر بما قدمت أيديهم و بما أجرموا . فظهر أن الإبلاس مرتبة شديدة و كاملة من اليأس "[2]، إن إبلاس المجرم هنا تحرير لواقع نفسي ممض يعرض له ينطق به الصمت و ليس الكلام، حيث يساعد المعنى الحسي لهذه اللفظة و المتمثل في الناقة المبلاس التي لا ترغو في فهم محتوى الكلمة، بكل ما تعكس من مغزى، و ترصد من أهداف .

فها هي ذي (الساعة) التي يقبض السرد من خلال لفظتها علي ملمح المباغتة (لاسيما في حضورها المتكرر)، ها هي ذي قائمة، ولطالما كانوا بها يكذبون، و لطالما كانوا إياها يتعجلون، ها هي حاضرة يتجاوز بها السرد إطار قربها وبعدها بالمقياس الزمني، ويتخطى سؤال الملحين عن موعدها، فيقرر " - بأسلوبه النفسي الخاص - أن وقوعها جائز في كل وقت فأولى بالسائل أن يستعد لها "[3]، ولفظها في سياق المشهد يحمل سرعة تتناسب و لحظة قيامها مع إبلاس المجرمين،، " يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة "، فهاهم و لم يعتقدوا حضورها، و لا أعدوا لها عدتها .

يندمج الوصف هنا مع التصوير الذي يخاطب العين من خلال الظلال والأشكال - والوصف فرع من التصوير - فيقدم حالة يتملاها البصر ويدركها الفكر معا، حيث تتجمع المشاهد المتلاحقة عند جملة الدلالات في مفردة (يبلس) فيكشف السرد عبر تقنية الوصف عن الحالة الذهنية لشخصية المجرم لحظة استقباله اليوم الآخر، ويقدم محتواها عن طريق وصف السارد واسع المعرفة بدقائق عالم المجرمين الذهني إنه السارد العليم الذي يلاحظ ويدرك الأبعاد الغائرة داخل شخصية المجرم .

إن الانطباعات النفسية والشعورية هنا هاجس مؤسس لزاوية دقيقة من زوايا المشاهد، يتعمق داخل حدث القيامة ويتماهى فيه بحيث يصيران كلا واحدا، فالمجرمون " يوم تقوم الساعة " في حالة مخزية، أعمالهم محيطة بهم، وجهنم بالمرصاد، ويوم الحشر قائم بذاته، " فهذه الصورة بحالتها النفسية الواسعة تنطق بحقيقتها لفظة " يبلس " حيث الاستسلام، وأن ليس هناك محيص من الفرار، إنها تنطق بحركة نفسية، صامتة، مباغتة، مبكئة " [4]، و هذه الحركة النفسية تصحب المجرم ممتدة متجددة على مدار حلقات القيام و الجمع و الحشر و الحساب و في العذاب.

النص هنا يصنع قالبا لغويا يجسم من خلاله الداخل النفسي، حيث يمكن أن نهتدي إلي مجرى هذا التجسيم وهو في حالة نشاط ذهني تعريه مفردة (يبلس) التي تصف موقفا انفعاليا متجددا ممتدا، و ترصد انسيابا لوعي يطغى على الشخصية و يحرقها، فلا تغدو المكون الأولي للسرد، بل يطفو الوعي و انسياباته كشخص رئيس، فهذا الملمح النفسي ليس عارضا و لا عابرا، بل إنه يطبع المجرمين منذ لحظة قيام الساعة و يلازمهم مشكلا قاعدة ما تلبث أن تنطلق عبرها عدة انفعالات أخرى تندمج معه مشكلة ثنايا داخل المجرم آخذة بمجامع نفسه، فمنذ تلك اللحظة يستبد اليأس و الحزن و شعور الصدمة بالمجرم، حيث ينكشف الغطاء عن زيف العلاقات، وعبث المعاملات في اتخاذ الشركاء، ويتقرر سخف عقيدة الشرك،

---

(1) المفردات : ب ل س .
(٢) التحقيق : ٣٥٦- ٣٥٧.
(3) من وصف القرآن (يوم الدين والحساب) ، شكري محمد عياد :١٣٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٢ .
(4) الإعجاز الفني في القرآن الكريم، عمر السلامي : ٩٥، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس، ١٩٨٠ .

فيما توصف لحظات التجرد للمواجهة، وقد حلت الساعة، فإذا بالمجرمين في حالة من التداعي النفسي، وقد خاب منهم الرجاء في الشفيع، ولا أمل لهم في النجاة .

السرد هنا يرتفع إلي لحظة تنوير يعتمد فيها الانطباعات الذهنية ويقدمها باعتبارها وسيلة تحقيق رؤية ما . ونستطيع أن نثمن تقنية الوصف التي برزت هنا بكونها غاية في ذاتها وليست زينة أو اقتحاما يبطء عمليات السرد، فالوقفة الوصفية هنا عنصر تشييدي متفاعل مع سائر الأنساق، حيث ينغرس الوصف مبرزا عمق العلاقة بين الموقع والزمان "يوم تقوم الساعة" وما يدور في حلقتهما من أحداث كاشفا عن عالم المجرمين من الداخل .

٢- " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) (الفرقان :٢١-٢٢)

عبر تقنيه الوصف الممتزج بمناجاة النفس، تعاد صياغة جرائر المجرمين، وتعاد صياغة العواقب، ويلم السرد بطرف جديد من أطراف القضية .

هنا يكشف السرد عن موقف جديد يحتمل إشارات نفسية تضيف بعدا جديدا لنفس محبطة يائسة متحيرة، إنه لقاؤهم بالملائكة وقد طويت صفحة الدنيا، يتم علي أرض القيامة، وقد بدا للمجرمين ما لم يكونوا يحتسبون، وإن طول اللحظات وعظم وقع المقابلة التي تسؤوهم، في يوم هائل عصيب لتجتمع كلها في صيغة المضارع (يرون)، بينما يرتسم في نفي المصدر بلا النافية للجنس (لابشرى) امتداد جديد لليأس الذي استولى علي نفوسهم، إذ لا بارقة تجعلهم يأملون خيرا .

ففي نقلة سريعة بين حاضر مفعم بمشاعر التحدي والتطاول و العتو و الاستكبار تبلوره صيغة المضارع المنفي (لا يرجون لقاءنا)، ومستقبل تعبر عنه الصيغة الاسمية المنفية (لابشرى) تصدر المشاهد، وإن مشهد الآخرة ليقتحم الصورة، ويكتسح المنظر، ويفرض ذاته متمددا من خلال المضارع الذي يجسم الأحداث وينقلها واقعا حاضرا مشهودا في (يرون / يقولون) . فها هنا خطاب العقل والروح والفكر والعاطفة، تتشكل فيه شحن دلالية متناسقة مع رهبة الواقع وجلال الحضور .

أما طلبهم في الدنيا أن تنزل الملائكة تشهد بالعقيدة التي يدعون إليها، أو أن يروا الله سبحانه وتعالى فيصدقوا، فذلك مما يعكس عدة عمليات عقلية في مستوى ما قبل الكلام من ألوان الوعي التي لا تخضع للسيطرة والتنظيم علي نحو منطقي، ومن ذلك أنه :

أ- يسجل تناقضا ذهنيا، وتضاربا في المدارك، فكيف بمن يكذب بلقاء الآخرة بما فيه من رؤية الله والملائكة، يطلب رؤية الله في الدنيا ونزول الملائكة عليهم في الدنيا، وتلقي الدين عن الملائكة أو الله مباشرة" [١].

ب- يرصد المبحث النفسي تطاولهم علي الله واجتراءهم عليه واضعين أنفسهم موضع المفاوضة الإلهية، فهم قد " عظم شأنهم في نظر أنفسهم، فاستكبروا وطغوا طغيانا كبيرا، لقد تضخم شعورهم بأنفسهم حتى شغلهم عن تقدير القيم الحقيقية ووزنها وزنا صحيحا، لقد عادوا ما يحسون إلا بأنفسهم وقد كبرت في أعينهم وتضخمت وعظمت، حتى ليحسبونها شيئا عظيما في هذا الكون يستحق أن يظهر لهم الله ﷻ ليؤمنوا ويصدقوا" [٢].

---

[١] التحرير والتنوير :٥/١٩ .
[٢] في ظلال القرآن : ٢٩٦٧ .

إن المواقف التي تعترض حياة المجرم في إطار دنيوي هي امتحان لعقل عادي في ظرف استثنائي، بينما مواقف الآخرة هي امتحان هذا العقل في ظرف استثنائي حاد الاستثنائية، حيث يتم إعمال تقنية الوصف في إطار تيار الوعي الذي يركز علي الدفع بالشخصية في قالب أكثر دقة وأكثر واقعية من خلال رصد الوجود النفسي لها من الداخل ما بين الموقعين، إذ تتداخل المناظر و الصور و الرؤى تداخلا زمنيا، بينما يتنقل السرد تنقلا حادا بين حالتين أو شعورين .

أما انفعالات المجرمين في الدنيا فتجملها " لا يرجون لقاءنا "، التي تتجاوز انتفاء الخوف من العقاب إلى عدم توقعه بالكلية، إذ يعدون لقاءه محالا لإنكارهم البعث و الحساب، لا عدم أملهم حسن اللقاء و لا عدم خوفهم سوء اللقاء، " لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار و إنكار البعث والحساب رأسا "[١]، وهو انفعال صادر عن أنهم " ليست لهم عقول .. فهم لا يعملون عملا يطمعون في إثابة لهم عليه بعد الموت . فصارت عقولهم تبعا لشهواتهم" [٢]، و قد جاءت مقولاتهم بصيغة مباشرة تنقل ما نطقت بها أفواههم (قالوا) توثيقا لحدث يقابله عما قليل حدث آخر نقل هو الآخر نقلا حيا مباشرا (يقولون) .

قابل نفي رجائهم اللقاء، بنفي البشرى (لا بشرى لهم)، وليس أيسر من استهلاك نفي (بشرى) هنا في إثبات ضده، إذ المتبادر أن " انتفاء البشرى مستعمل في إثبات ضده وهو الحزن" [٣]، بينما تتمتع الجملة بصدى نفسي بعيد، " بشر بكذا يبشر مثل فرح يفرح : والأصل في المادة هو الانبساط المخصوص الطبيعي والطلاقة . أما الحزن فخلاف السرور وهو حالة انقباض مخصوص في القلب، كما أن السرور حالة انبساط" [٤]، نفي البشرى شعور يعني الخلو من الخير،، فقوله " لا بشرى" وهو نكرة في سياق النفي، يعم جميع أنواع البشرى في جميع الأوقات" [٥]، حيث لا تقف الجملة عند حدوث الظاهرة اللغوية بل تتخطاها إلى السياق والظروف التي أحاطت بها زمانيا ومكانيا ونفسيا، أضف إلى ذلك أن مفردة (بشرى) تستأثر بلحاظ معين مقصود من حيث بعدها النفسي و دلالتها النفسية، وقراءة ذلك عبر الوجوه ولاتصال مادة (بشر) بالوجه، فاللفظ يتجاوز الباطن النفسي الذي يستتر إلى مستوى أعم وأشمل، حيث الوجوه البشرية واجهات تعكس المواقف التي تتمخض عن حالات نفسية، و هو ما يحدد عمق الشعور الذي استحوذ على الباطن و طغى عليه طغيانا نطق به الظاهر.

تتداخل مناجاة النفس مع الوصف في المشهد لرصد المعنى الذهني، و الانفعال النفسي، إلى جانب الحادث المحسوس، و اللقطة المنظورة، و يتم الارتقاء بالصورة لتدب فيها الحياة و تبث فيها الحيوية و الحركة، " ويقولون : حجرا محجورا "، هاهنا يوسع السرد المجال للمناجاة، و قد انحصر قول المتبجح الصارخ عالي الصوت " لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا "، و طفت أحاسيس نفس بائسة تقلصت كل انفعالاتها و انصبت في قالب من ذهول و خوف في يوم انقشع فيه ظلام الجهل و تبددت فيه صرخات العناد، ليتم التركيز علي وصف المشاعر والأحاسيس و أحاديث الشخصية التي تدور في ذهنها بصورة مباشرة مع افتراض وجود جمهور افتراضا صادقا، هو حديث يصلح لأن يكون عاما وخاصا معا، إذ يتفق مع مشاعر المتلقي و ليس الأنا السارد فقط.

---

(١) تفسير أبي السعود : ٢١١/٦ .أبو السعود محمد العمادي ؛ دار إحياء التراث العربي ؛ بيروت ؛ لبنان.
(٢) نظم الدرر : ٣٦٧/١٣ .
(٣) التحرير والتنوير : ٧/١٩ .
(٤) التحقيق : ٢٤٥/٢ .
(٥) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي : ٧٠/٢٤.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ؛ ط ١ ؛ ١٩٨١.

و إن المضارع (يقولون) الذي يعني أنهم يرددونها مرارا وتكرارا، ليفصح عن مفاجأتهم حال رؤيتهم الملائكة لعظيم روعتهم منهم، فالكلمة بصيغتها تعبير طافح عن حالة الذهول حين المفاجأة، يقولون : حجرا محجورا أي حراما محرما، وهي كلمة كانوا يقولونها في الدنيا اتقاء لشر الأعداء، واستبعادا لهم وتحرزا من أذاهم، فها هنا عملية تداعي لمشاعر قديمة و تعبيرات دنيوية مأثورة رهنت بالموقف.

إن قالب المناجاة هنا يعتمد التكثيف في إيقاعه السريع ومعجمه الدقيق، حين يرصد جانبا من طوايا النفس، ويقوم بعمل سجل يعبيء من خلاله بياناتها، فقولهم حجرا محجورا " يشير إلى سد منيع، قائم بين المجرمين والبشرى بالجنة .. يؤكد استحالة دخولهم لها، و أنهم خالدون في النار . ومن هنا يتضح كيف" تأخذ الألفاظ مجالها، لتضع المعنى في نصابه، وتدقق في أدائه، ليكون السبك متينا، وأجزاء العبارة متناسقة، ذات وحدة فنية مكتملة . إن لفظة القرآن تحدث في العبارة تناسقا عميقا في الصورة الفنية والنفسية معا"[1]، و قد ادخر السرد آلية المناجاة لهذا الموقف الحاسم الذي يشكل علامة فارقة في تطور الحدث والشخصية، فهو موقف تحول نفسي خطير لتلك الفئة، هذا التحول الذي يشكله التضاد الواسع بين الآني و الماضي .

يفسح السرد في الآيتين المجال للضمائر فتتعدد، وتلك آلية يتلقاها المخاطب بدرجة من التأهب و اليقظة، محاولا فك شيفرة التنقل بين الضمائر، فتارة يعرض السرد ذاتيا بلسان الأنا، فيتحكم ضمير المتكلم بمنطق السرد و تفعيلاته في غضون لون من الإزاحة و الإقصاء المؤقتين المفتعلين لصوت السارد، فيقدم الحدث من زاوية الشخصية، ثم لا يلبث أن ينتقل إلى الضمير الآخر، ثم يعاود صوت الأنا الظهور، لتتسع مساحة التفاعل بين النص و متلقيه .

٣- وَلَا تَحْسَبَنَّ **ٱللَّهَ** غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (43) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ **رَبَّنَآ** أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَ لَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ **ٱللَّهِ** مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ **ٱللَّهَ** مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ **ٱللَّهَ** عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ **لِلَّهِ** ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ (48) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (50) (إبراهيم ٤٢-٥٠) .

إن السيولة أو الوقت السيكولوجي هنا هو ما يدفع بالمشاهد إلى دائرة المنطقية، ويوسع للسرد فيتحرك في إطار الحاضر والماضي والمستقبل، " و يتحكم في الأبعاد الزمانية بطريقة العرض البطيء، أو العرض السريع بطريقة التتابع و الجريان بدلا من العرض المنطقي المنظم .. مما مكن من التحرك زمانيا إلى الأمام و إلى الخلف، و كذلك خلط الماضي بالحاضر و ما يتخلله في المستقبل فيما يسمى في الفن بالمونتاج "[2].

فإذا كان الزمن في تيار الوعي لا يقف عند حدود بنائية السرد فيتخطاها إلى الوظيفة الدلالية ذات الأبعاد الرمزية الإيحائية، في إطار الانسجام مع حالات الشعور، فإن هذا كله يبرز هنا واضحا من خلال عمليات القفز الزمني القائم على التقطيع الذي قد تتخوله إشارة زمنية، فالزمن يبدأ بالحاضر، (ولا تحسبن

(١) الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي : ١٧٠ .
(٢) تيار الوعي في الرواية المصرية، محمود الحسيني : ٢٦-٢٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة .

الله غافلا)، ثم يتحرك في قفزة بعيدة إلى المستقبل (يوم تشخص فيه الأبصار)، ثم يعود إلى الحاضر (وأنذر الناس)، ثم في قفزة مباغتة يعود إلى المستقبل (يوم يأتيهم العذاب)، ثم يؤوب في لفتة مفاجئة إلى الماضي الذي هو في زمن الرسالة حاضرا (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا)، فيعود ليستشرف المستقبل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) .

إن هذه العمليات الاسترجاعية والاستباقية التي تكسر خطية السرد لجديرة بأن تزلزل الأرضية الثابتة تحت الأقدام، وتنزع أمان الظالمين، حيث تلقي مفردة (الظالمون) بظلالها الممتدة على المشاهد وتلفها، في طغيان تقنية الوصف، التي تفسح المشاهد لمجالات الصورة والصوت والحركة واللون، في إطار الحرص على نقل الواقع النفسي، إن الوصف يستبطن عن طريق هذه الوسائل ما يختلج في النفوس ويعتمل في الصدور، أما العقل .. فأين ذاك العقل من ذاك المصير ؟

تبدو لفظة (الظالمون) مكررة باختلاف صيغي فهم : الظالمون / والذين ظلموا (مطلقا) / والذين ظلموا أنفسهم، والمجرمون هم الظالمون، أو هم فصيل خاص منهم يتقاسم و إياهم الظلم، حيث يتقاطع ظلمهم مع ظلم غيرهم عند مستويات الشرك وهو ظلم الله سبحانه بالاعتداء علي ما ينبغي له من الإقرار بالوحدانية، وظلم النفس بإيقاعها في سبب العذاب، وظلم الناس اعتداء أو منعا للحقوق .

وفي لفظة " ظلم " ترتسم معالم شخصية الظالم، ويسفر عن محتواها الذهني، فإذا كان الظلم والظلام والظلمة جميعها ذات مصدر لغوي واحد، ومعني هذا المصدر هو السواد الداكن، وإذا كان الظلام يغشى الأبصار ويسبب العمى مجازا لأنه مانع للرؤية، فإن الظلم إذن هو عمى قلب الظالم وبصيرته . .ومن هنا يعرى الوعاء الذهني والمستوى النفسي للظالم، فهو شخصية مسكونة بالغبش والعتمة، تنزع إلي مجاوزة الحدود [١].

اعتماد التكرار هنا يحرك وجدان المتلقي، ويثير خياله، ويمس وجدانه، فعبر الصيغة الاسمية " ظالمون"يخلقها النص حقيقة ثابتة، وفي تكرارية الماضي (ظلموا) يبعث صورة الظلم حية في قوة وهيمنة تفضح خبيئة نفس الظالم الذي سكن وقر في ظلمه وغني فيه " سكنتم في مساكن الذين ظلموا "، والسكن هو الاطمئنان إلى الشيء مع عدم الإزعاج"[٢]، أي " قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم والمعاصي غير محدثين أنفسكم بما لقوا بسبب ما اجترحوا من الموبقات " [٣] .

إن الظلم هنا يستجمع عورات نفس الظالم ويكشف دوافع سلوكه في الدنيا، مبرزا الوعاء الذهني له، وهو في خضم هذا الضغط علي الجريمة (ظلم) الذي حشد له بالتكرار، أفسح المجال لظهور العقاب، فأباح للسرد التحرك إلى المستقبل، و هيأ له أسبابه، فها هو بالنقل الحي المباشر، يصور عرضا مشهودا للعاقبة، فيضع المتلقي في خضم الحدث وهو بصدد الوقوع، و يفسح المجال لالتقاط مشاعر الظالمين و خطراتهم على أوسع نطاق : " تشخص الأبصار"، فالعين تشخص ولا تغمض لهول ما ترى، إذ لا متسع لأمن ولا مجال إلا لفزع، فإغماض العين ترف من دعة واطمئنان ولى بانصرام الدنيا، فالعين تنفتح وتتسع لهول ما ترى حتى لكأنها مع فتحها وعدم إغماضها لا تشعر بشيء إلا الهول و أسباب الفزع، وهم مسرعون إسراع هلع ذليل منكسر، فأنى سير كهذا من سير اختيال و كبر ؟!، وهم في سيرهم مأخوذين مدهوشين،

---

(١) ومن مترادفات (ظلم) في القرآن : العدوان / النقص / الشرك / التخلي عن تطبيق أحكام الدين / الفساد / الطغيان / البغي / الهضم / التعدي / الحيف / الجنف . وفي قاموس القرآن " ظلم علي تسعة أوجه : الشرك / الذنب من غير شرك / القتل / النقص / ظلم الناس / الضرر / الجور / حجود القرآن / السرقة " الحسن بن الدامغاني : ٣٠٨، حققه عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، إبريل .١٩٨٣

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي :٧٦٠٣، نشر أخبار اليوم، ١٩٩١.

(٣) روح المعاني : ٧/ ٢٣٤ .

يرفعون الرأس عن دهشة ألزمتهم النظر لأعلى لا عن كبرياء، ينظرون نظرة تمتد بلا أمد فلا يرتد إليهم طرفهم، فمن خلال الكناية يتسع السياق للكشف "عن هول ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه لا تطرف أعينهم" [١]، "و من خلال التشبيه البليغ تصير قلوبهم هواء إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول" [٢] .

حيث تقبض الكلمات علي الخواطر في استرسالها، وتلتقط الانفعالات في تدفقاتها، في انتقالات سريعة لا تدع فضلة لفصل الخطرات والانفعالات : تشخص أبصارهم مهطعين مقنعي رؤوسهم [٣] لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء، هكذا تُستوفى معالم النفس ويبين حال الفؤاد مع جملة الانتقالات المتلاحقة بين حركات تضمر كل منها انفعالا ينتقل بلا استراحة من مرحلة إلي أخري، رغما لا إرادة، كرها وجبرا لا طواعيه واختيارا، المشهد يتألف من " صور متتابعه متواكبة، أو مشاهد لصورة واحدة يتلو بعضها بعضا، فتتم بها لوحة شاخصة في الخيال، وهي لوحة فريدة للفزع والخجل والرهبة والاستسلام، يجللها ظل ساهم كئيب يكمد الأنفاس "[٤] .

إن الكفار هنا قد أمعنوا في كفرهم فليسوا بغافلين إذا ولا بأغبياء، بل ظالمون معاندون، لذلك كان وصف حالتهم عند البعث غير مبني علي غبائهم وغفلتهم، بل علي المقابلة بين ظلمهم واستكبارهم اليوم وفزعهم غدا :"فأبصارهم شاخصة معلقة لتوقع البلاء، ورؤسهم علي ذلك مقنعة لأنهم لا يستطيعون لفزعهم أن ينظروا إلى الجهة التي يتوقعون أن يأتي منها هذا البلاء، وعيونهم قد ثبتت في محاجرهم كما يحدث للمرء إذا اشتد فزعه فجمدت عيناه وكأنما هو مسحور" [٥] .

تمتزج مناجاة النفس بالوصف، فتصبح أداة قوية لبث الفكرة، ونقل الحالة النفسية، إذ تأتي في ثنايا الوصف كجزء منه، فتعبر بقوة عن حالة المتكلم، تكشف عن ذلة وصغار، فهي مناجاة تأخرت عن الدعاء حيث انفلتت المهلة، و انقضى زمن مناجاة الله في الدنيا تبتلا وخضوعا، حيث دعوا إلى ذلك فأبوا، هم الآن وقد تكشفت الحقائق وانقشعت حجب الغيب، وانطوت صفحة العناد والاستكبار وتبدل اليقين بالظن، وحانت لحظة الجزاء " فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلي أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال،وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال".

إن استجداء صادر عن ذلة و صغار ليحكم هذه المناجاة، استجداء بائس يائس يتمنى ما يمتنع حدوثه، ويرجو ما يعلم استحالة تحقيقه، لقد وقع الأمر منهم ها هنا فقط موقع اليقين، وقد انطوت صفحة الأرض، حيث لم يعيروا أمارات اليقين في الدنيا التفاتا " وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال " .

ثم إن اللقطة التي اتسعت لتضم في شعابها الظالمين، لتتضاءل وتركز علي الفئة الأكثر ظلما (المجرمون)، فها هم لا يملكون لأنفسهم حولا ولا طولا، فإذا الدهشة وفرط الذهول والذلة التي عبرت عنها المشاهد التي ولت، ما هي إلا مقدمات " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ(50)

---

[١] التحرير والتنوير : ٢٤٧/١٣ .

[٢] السابق : ٢٤٧/١٣ .

[٣] الإهطاع : إسراع المشي مع مد العنق كالمتختل، وهي هيئة الخائف، و إقناع الرأس طأطأته من الذل (التحرير ٢٤٦/١٣)، قال آخرون في مهطعين : عديمي النظر، وقال غيرهم .. لا يرفع رأسه وقيل مسرعين " تفسير الطبري : ٤٦٠٢٤ ".

[٤] مشاهد القيامة في القرآن : .١٩٥.

[٥] من وصف القرآن (يوم الدين والحساب) : ١٢٠.

هنا يسهم الوصف الطبوغرافي المكاني في تحديد ملامح الشخصية، يقدمها في علاقتها الوجودية بالمكان، لينعكس وعيها الذاتي و إدراكها، إن البروز عالق بسمة التميز و التسامي و الكبر الذي استدام عليه المجرم إذ هو في الدنيا، أما و قد تبدل الحال تبدل الأرض و السموات فهو إذ ذاك بروز المأزوم الذي لا يروم بروزا و إنما يرجو استخفاء، ها هنا لغة قائمة على الصورة و الرمز و الإيحاء، و تحطيم الزمان و المكان.

ها هم المجرمون بارزون لله دون ستار، تتملكهم الوحشة ويروعهم الهول، يكابدون القلق و الحيرة و الحصار و القهر و الإحباط، وحشة الغربة و غصص المواجهة ورهبة الانكشاف أمام الواحد القهار .. ثم انظر فإنك لتبصر منظرا عجبا " وتري المجرمين مقرنين في الأصفاد" ولهم أردية ولكنها من " قطران " فيها منه السواد والتلطيخ والقابلية للاشتعال، وهم يساقون اثنين اثنين في الأصفاد "فالهول هول مادي ومعنوي، في تبدل الأرض، وفي البروز للواحد القهار . والعذاب حسي ومعنوي، في غشيان النار لوجوههم، وفي تقرينهم في الأصفاد وهذه سمة الإهانة والاحتقار " [1] .

ثانيا : عند الحشر

١- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا(١٠٢) تَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) (طه:١٠٢-١٠٤) .

انتهت الآيات السابقة منتقلة من حالة البروز لله الواحد القهار يوم القيامة إذ تبدل الأرض والسماوات إلى مرحلة الحشر والمجرمين مقرنين في الأصفاد وسرابيهم من قطران، ثم ها هي ذي اللقطة المكملة للهيئة الموصوفة، تنطق بحالتهم وتشي بذلتهم بوصف لونهم.

إن مفردة " زرقا " وراءها باعث نفسي عميق، حيث اقترنت بأمر معنوي وهو إجرامهم، فهذا اللون دلالة عما يجيش في نفوس المجرمين، وبينه وبين المساءة والحزن تلازم وارتباط، أضف إليها الذعر والخوف وجميعهم ينال المجرمين عند الحشر، بل لعله يتلاءم مع كون أجسامهم تكاد تخلو من حياة ومن موت، حيث ينسجم انحشار الدم وفساده في الأجسام مع زمنية الحشر (نحشر) ليعكس اللون ما يكتنفهم من كآبة شديدة وحزن عميق و ترقب الإشراف علي العذاب الأليم .

إن وصف المجرمين بكونهم "زرقا" يتجاوز إلي إبراز حالة الكدر والغم التي ألمت بهم، فما يعتريهم من تغير باللون هو إشارة تحمل دلالات نفسية تساعد المتلقي علي تصور ما تمر به هذه الفئة ساعة الحشر، ومع اللون والحركة تتجلى في المشهد مزية تقديم الرموز كبدائل لما تمر به الشخصيات، فمع التحريك اللوني تبدو أهمية الرمز كباعث علي تحديد الحالة الشعورية، حيث تنقل مفردة "زرقا " هذه الحالات التي تعتري المجرمين.

و مع تكنيك المناجاة ترصد بدقة بالغة عدة عمليات شعورية، حيث تتكفل مفردة (يتخافتون) بإضافة عناصر الرعب والهول والرهبة، وتبرز حيرتهم وجهلهم وتخبطهم، وقد استحوذت عليهم المفاجأة، إنهم يتخافتون، يحدسون عما قضوه من عمر في القبور، وجميعهم منغمس في جهل عميم يستوي فيه الجاهل والعالم " هي علي أية حال هيئة المفاجأة لمن يستيقظ فيرى تغير الأحوال، وهو لا يدري كم من الزمن مضى فيعتمد علي الحدس والتخمين" [2] .

ثالثا : عند الحساب

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن : ١٩٦-١٩٧ .
[2] مشاهد القيامة في القرآن : ١٢٣.

١- وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ "(السجده :١٢) .

"و لو تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ " إنها صورة حية للخزي تقتحمها العين، ينقلها الوصف مجسمة في عبارة " نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ " التي تشف عن مكنونات النفس وتدل علي حركاتها، حيث يطرح السرد صورة مسكونة بانطباعات وأحاسيس وجدان المجرم، ويقوم بالتفريغ الانفعالي، متغلغلا في نفسه، فالمجرم هنا في موقف يلفه الواقع النفسي، تغلب عليه الحيرة، تتوزع فيه صيغ الصراع النفسي ما بين حاضر يجرع فيه غصص الذل والانكسار، وأمنية العودة لتصحيح المسار، والمشهد تدب فيه الحياة وتستجمع الرؤية بفعل الإشهار " ترى"، فيجعل الحالة قريبة من المتلقي، فهؤلاء الذين تراهم هم المجرمون يوم القيامة، يجللهم العار وتعلو رؤوسهم الذلة والهوان عبر هذا الانفعال تغيرت هيئة البدن، فإذا هم في خزيهم وشعورهم بالندم، يبدون أذلاء، مطاطئي الرأس، منكمشي الجسم، كمن يروم تواريا عن الأنظار .

في ثنايا الوصف يتم إعمال تقنية مناجاة الآخر، لتستكمل أطوار الندم والإقرار بالخطأ، فالمشهد يتم إحياؤه و إحضاره بدخول المناجاة عنصراً جديداً، فما نكاد نرى هؤلاء المجرمين في هيئتهم منكسي الرؤوس لا ترتفع جباههم من خزي، ولا تتوجه أبصارهم من ذل " حتى نسمعهم مباشرة يتحدثون . وكأنما كانت الجمله الأولي " نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ " رفعا للستار عن المشهد لنرى المجرمين ونسمعهم وهم منكسو الرؤوس يقولون: " ربنا أبصرنا وسمعنا، فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون " الآن وبعد فوات الأوان " [١]، و هنا يستدعى النظير و المقابل الذهني و النفسي من خلال لفظة (موقنون) يوم كان الظن لهم ديدنا و محتوى يطغى على عقولهم و يستقطبها،" وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ " (الشعراء :١٨٦) ، " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ " (الجاثية : ٢٤) .

٢- وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (الكهف : ٤٨-٤٩)

يعنى الوصف هنا بتجسيد الزمان والمكان " يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " فيستكمل بعدا من أبعاد واحد من مشاهد القيامة، والصورة تحضير للمشهد التالي يكشف عن مرحلة ما قبل الحشر فيما يتم به التمهيد من جانب آخر للعملية الأخطر والأدق وهي الحساب .

فها هنا مشاهد ثلاثة لها مردودها على النفس : الانكشاف / الحشر / الحصر، فأما المشهد الأول فيتجلى فيه الهول المادي في تسيير الجبال الراسيات، وظهور الأرض خالية، فهي " بارزة ظاهرة ليس عليها مايسترها " [٢]، وأما الثاني فحيث تم الجمع والحشر ليعرض الجمع صفا على " ربك " لتقع المجابهة بما سلف من تكذيب " فتلمح الخزي على الوجود والذل في الملامح " لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة " ! جئتم أيها القوم وكنتم تزعمون أن لن تجيئوا أبدا" [٣] .

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن : ٢٠٣ .
(٢) مفاتيح الغيب : ١٣٤/٢١ .
(٣) مشاهد القيامة في القرآن : ١٨٨ .

تدق زاوية الرؤية و تنحصر، فتركز على مشهد المجرمين، هنا يتم حصر الأعمال، فهذا هو سجل أعمالهم وقد وضع أمامهم، يتلونه ويراجعونه، فلا يجدونه إلا شاملا حافلا بأعمالهم صغيرها وكبيرها، دقها و جليلها، حينئذ تبرز على الوجوه ملامح الخوف وتضيق الصدور بكتاب لا تند عنها شاردة ولا واردة .

والسرد يلم بدقائق المشاعر التي تنتاب المجرمين ويصبها في لفظة واحدة (مشفقين)، والإشفاق "يدل على رقة الشيء فمن ذلك قولهم أشفقت من الآخر إذا رققت وحاذرت" [1]، والشفق " أمر جامع بين الرخاوة والدقة والضعف في مقابل الشدة والغلظة والقوة، ماديا كان أو معنويا " [2]، فإشفاق المجرمين هنا إيحاء بتبدل حالهم من قوة وشدة وغلظة إلى ضعف و رخاوة ورقة، جراء ما يعاينون من العظمة والقدرة المضيقة، كما تحمل الكلمة بعدا نفسيا استشرافيا لسوء العاقبة وشدة العذاب، فالإشفاق إذ ذاك يتخطى ملمح الخوف ليضيف ملمح الأثرة و حب النفس و الخوف عليها من سوء المصير، إذ ما يبدو في الكتاب من كثرة الأعمال السيئة مؤذن به، و إنهم إذ يخشون عقاب ربهم فإنهم يخافون ظهور أعمالهم فيفتضح أمرهم لأهل الموقف، ثم زد على ذلك أن اللفظة كاشفة عن حالهم و ما هم عليه من التعجب " مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة " فهم يتعجبون من مقدار دقة الإحاطة بالحسنات والسيئات، و إن نفوسهم لفي أبلغ درجات التعجب و قد راعها إحصاء المعاصي .

و إن الإشفاق في هذا الموقف هو شعور فاتهم أن يحيوه في الدنيا وقت كان يجب لهم أن يعاينوه، و إنه لبالضد من شعور عاينه المؤمن في الدنيا ففارقه في الآخرة " قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ " (الطور :٢٦)، " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ "(الأنبياء :٢٨)، " الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ " (الأنبياء :٤٩)، فالكلمة تضعك من جديد على تقابلية شعورية بين زمانين و مكانين .

و في هذا المشهد المعروض إسقاط و حذف بليغ إذ لم يظهر تفصيلا ما في الكتاب من أعمال، ليعنى السرد من خلال الحذف و عمليات القفز و التخطي بالتركيز على رؤية المجرمين لا على ما رأوا في الكتاب، و تسجيل وعي اللحظة الراهنة مما تشي به وجوههم، فأنت لن ترى الكتاب و لن ترى ماذا رأوا في الكتاب الذي وضع بل تراهم هم و قد رأوا مافيه ؛ فالسرد يبدل مجال الرؤية ويختزل و يحذف ليتحول بالمشهد فيرصد درجات وعي المجرم في تلك اللحظات الفارقة، متجاوزا حالتي الخوف و الاستهوال إلى رصد الداخل بكل تجلياته التي أنبأ عنها الخارج فيما تستجمعه لفظة (مشفقين) . إن العالم الخارجي بما يحكمه من ظواهر و قوانين و علاقات ينحى بكليته في تللك اللحظة، لتنفرد الحالة الباطنية النفسية بأبعاد اللقطة و تستولي عليها، إنها الذات الإنسانية و ما يحكمها من قوى لاوعية، و قد تمثلت فيها الحقيقة .

إن هذا المشهد الوصفي إذ ترد فيه لفظة (مشفقين) لهو المعادل الموضوعي لتيار الوعي المتدفق في ذات المجرم، فالكلمة تسليط يستوفي دهاليز كيانه، يختصر الذاكرة و معطيات الحواس في لحظة يحل فيها منطق النفس محل منطق الواقع، ليطفو الوعي الداخلي الساكن الصامت، و يحل محل الواقع المتحرك الناطق .

يمتزج تعبير مناجاة النفس و يتقاطع مع الوصف ليضيف بعدا نفسيا جديداً، حيث يتم تقديم المحتوى الذهني للشخصية على لسانها بصورة مباشرة، فالقالب هنا يحقق أشياء ثلاثة:

---

[1] المقاييس، ش ف ق .
[2] التحقيق : ٦/١٠٣-١٠٤ .

- تبوح الشخصية المأزومة بخفياتها .
- هناك مستمع يتلقى البوح في صمت .
- غياب السارد .

" وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " . (يا ويلتنا) تعبير جدير بخلق حالة من الكشف لظاهر المجرم و باطنه، لتبدو روعة التصوير بالكلمة، فأنت إذ " تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف و الملامسة و الإحكام،كأنك لا تسمع كلاما و لغات، بل ترى صورا و حقائق ماثلة، فالتصوير ليس قاصرا على تصوير عقلي محض، بل إنه يتغلغل إحساس من اطلع عليه "[١].

إنهم خائفون ضيقو الصدور، يتوجعون، يقولون : " (ياويلتنا) والويلة تأنيث الويل للمبالغة وهو سوء الحال والهلاك " [٢]، و هي صيغة "من صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجب "[٣]، و تأتي لمعنى الفضيحة المخزية و العار، و قول العرب وا ويلتاه يعني وا فضيحتاه، و فيها معنى التحسر و الندامة، إن المناجاة هنا وظيفتها أن يتم به" إدراك قوة الدراما التي تعمل في الأذهان"[٤]، فالمعنى المطلوب هو تصوير جملة انفعالات، و اللفظة على لسان من يتمتم بها أو يطلقها كفيلة بنقل جملة العواطف و الانفعالات التي تلازمه، لقد أدركوا مقدار الجناية و ترقبوا سوء العاقبة، إن اللقطة تنطق بمدى الخوف من الفضيحة و التحسر و الندم الذي جاء متأخرا فلا ردع و لا نفع و لا شفع، و المطالع هنا يكاد يتملى وجه المجرم ماثلا تعلوه سيماء الهلع و الخزي و الندم .

حيث تولي مناجاة النفس جل عنايتها بالكشف عما يعتمل داخل الشخصية، و تصوير لواعجها الذاتية، و يعنى بتحليلها من خلال الموقف، ليقف على حقيقتها و يصور أعماقها الداخلية، إذ تكشف عن محسور مغيظ خائف متوقع لأسوأ مآل، وقد حصر مكشوفا لا يملك هربا ولا تستطيع انفلاتا، بينما يكشف المضارع (يقولون) عن تكرار قولهم ذلك وإعادته شأن الفزعين الخائفين، ينقل ذلك مستحضراً فظيع حالتهم، و إن استدعاء التعبير (ياويلتنا) من القاموس اللغوي الدنيوي لهو إثارة و استحضار للماضي إذ تتداعى الكلمات على اللسان و تتداعى معها المواقف، و هذا التداعي تسجيل حالة الشخصية المتغيرة، تبعا لوعيها المتمثل في تلقائية الارتداد إلى الماضي .

رابعا : عند معاينة العذاب

١-يوم تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ (المعارج ٨:١٥)

يتقاطع المونولوج الداخلي هنا مع تعابير الوصف، ليكرس فكرة الانسيابية المتدفقة في المشهد، حيث يتم الإفصاح عن المناطق الخفية من الوعي، و هو إجراء فني أنسب ما يكون لتصوير حالة من حالات التوحد مع الذات، "إنه الخطاب غير المسموع و غير المنطوق الذي تعبر به الشخصية عن أفكارها الحميمة القريبة من اللاوعي، إنه خطاب لا يخضع لعمل المنطق، فهو في حالة بدائية و جملة مباشرة .. كأنها أفكار لم تتم صياغتها بعد"[٥].

(١) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز : ١١٧؛ دار القلم للطباعة و النشر ؛ ١٤٢٦-٢٠٠٥.
(٢) التحرير و التنوير : ١٥/٣٣٨ .
(٣) السابق: ٣-٣٧٣.
(٤) تيار الوعي في الرواية الحديثة : ٤٠.
(٥) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني : ١٦٧، دار نهار للنشر و التوزيع، لبنان، د ط، ٢٠٠٢.

إن المونولوج الداخلي يمارس هنا دورا فاعلا في المشهد، إذ يقدم ما يصطرع داخل شخصية المجرم ويفرغ ما يحتويه وعيه، ويوقف المتلقي علي مكنونات نفسه، حيث يتدخل السارد واسع المعرفة فيقدم المادة الداخلية غير المتكلم بها كما لو كانت من وعي الشخصية ذاتها، وحيث لا يفترض وجود سامع.

الآيات تنقل المستوى الشعوري للمجرم، الذي يحمله علي الرغبة في فداء نفسه بأقرب أهله إليه وأحبهم إلى قلبه، بل إنه يود لو يفتدي نفسه بمن في الأرض جميعا . إنه الانكفاء علي النفس، وتمني الخلاص وقت الهول المروع الذي لا يترك مجالا لوشيجة، في موقف الكرب والفزع العظيم .

تقدم الآيات فكر المجرم وتحدد منطقه العقلي والذهني في التفاعل مع الموقف من خلال " لفظة(يود) والود : محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، علي أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو أن تشتهي حصول ماتوده " [١]، فالأصل في المادة " تمايل إلى شيء.... وبهذا العنوان قد تستعمل المادة في موارد التمني " [٢] .

فالود ميل طباع، وهو طبيعي، ومحاولة المجرم التبعد والتحرز من السوء هنا ميل، علي أن الكلمة تكشف عن نزوع المجرم النفسي الذي أقصى مشاعره الفطرية وأزاحها في التماسه الخلاص بفداء نفسه بأقرب الناس إليه، حيت تجدد صيغة المضارع (يود) هذا النزوع، فهي إذن ليست خاطرة عارضة، ولا فكرة طارئة قد تستبعد، بل هو تمن متجدد متواصل، كاشف عن طبيعة تلك الشخصية يعيد ظهور المعني المعجمي الذي يضمنه لفظ المجرم، فها هو ذا يقطع الصلات ويفصم عرى المودة، " إن الرعب ليذهب بنفسه، و إنه ليود لو يفتدي من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه، ممن كان يفتديهم بنفسه في الحياة، و يناضل عنهم،و يعيش لهم .. ببنيه و زوجه و أخيه، و عشيرته القريبة التي تؤويه و تحميه، بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق، فيود لو يفتدي بمن في الأرض جميعاً ثم ينجيه .. هي صورة للهفة الطاغية و الفزع المذهل والرغبة الجامحة في الإفلات ! صورة مبطنة بالهول، مغمورة بالكرب، موشاة بالفزع، ترتسم من خلال التعبير القرآني الموحي" [٣] .

٢- وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (الكهف ٥٢-٥٣)

هذا المشهد يتشكل نفسيا وذهنيا وفق مفردات ثلاثة : رأى/ المجرمون/ظنوا . فرؤية النار وتوقع مواقعتها، وقد ند الشريك، وبطلت الدعوى والبرهان، واستولى الذهول، وأطبق الهول على المجرمين، في موقف يستوجب أن تمتليء النفوس فيه خوفا وهلعا، وقد شق عليها توقع العذاب وهو حاضر ماثل، موقف مرهوب جدير بأن يسوق إلى الإحباط واليأس والتداعي والاستسلام، يدعو إلى تيقن مواقعة النار ، لا إلى التوقع والترجيح الماثل في لفظة " ظنوا"، إذ الظن اعتقاد ضعيف غير جازم ليس فيه يقين . وهو ما علله الرازي بتأخر موقع النار المنظورة فقال : " هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون أنهم مواقعوها في تلك الساعة من غير تأخير أو مهلة " [٤]

وموقع النار – في الحقيقة – ليس هو ما زعزع يقين المجرمين و دعاهم إلى الظن، بل إن الظن مرتبط مباشرة بالمحتوى العقلي لتلك الشخصية إذ غلبة ما أقاموا عليه في الدنيا جعلهم ينشدون فرارا من

---

[١] المفردات : مادة ود .
[٢] التحقيق : ٦٩/١٣-٧٠.
[٣] في ظلال القرآن : ٤٣٢٥ .
[٤] مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين : ١٤٠/١٠.

النار ويبغون عنها انصرافا (و لم يجدوا عنها مصرفا) .. فلولا غلبة إجرامهم على طباعهم ومنازعة نفوسهم لهم وما تمنيهم به أن ثمة سبيلا للفرار، ما أنتج النص " ولم يجدوا عنها مصرفا " يقول البقاعي : " ولما قرر سبحانه ما لهم مع شركائهم (ذكر حالهم) في استمرار جهلهم، فقال تعالي (ورأى المجرمون) أي (العريقون في الاجرام) (النار)، أي ورأوا، ولكنه أظهر للدلالة على تعليق الحكم بالوصف (فظنوا) ظنا (أنهم مواقعوها) أي والحال أنهم (لم يجدوا عنها مصرفا) أي مكانا ينصرفون إليه، فالموضع موضع التحقيق، ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل .. مع قيام الأدلة التي لا ريب فيها " [١]، فها هنا رصد لموقف استحكم فيه الجهل، و طغت فيه منازع المجرمين حتى عميت بصائرهم في الآخرة كما عميت في الدنيا .

٣- " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (32)وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(33) " (سبأ : ٣١-٣٣)

الحوار هنا جزء متمم للوصف، " وسائر مع سياق الفكرة، جلي في التعبير عنها فهو يرسم الخطوط الكبيرة في المعنى، إذ يرسم الوصف والقصص دقائق هذه الخطوط، على أن أسلوب الحوار يتداخل وأسلوب الوصف، فيكون الحوار جزءا متمما لوصف الحالة " [٢] .

والجديد في المشهد هنا ليس" تسمية التابعين بالذين استضعفوا، والمتبوعين بالذين استكبروا "[٣]، بل الجديد أن المستضعفين هم أيضا موسومون بالإجرام فالمستكبرين يواجهون المستضعفين بالحقيقة عارية : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم قوما مجرمين فالإجرام مسجل عليهم لا يخص المستكبر بل يعم المستكبر والمستضعف إذ المستضعف في ذاته استكبر حين صد عن الهدى بعد إذ جاءه، ومن ثم فالإجرام مساحة ممتدة بين مستكبر ومستضعف بانقطاعهم جميعا عن الهدى، ومن هنا استشعر كلاهما الندم حيثما " علموا أن ذلك الترامي الواقع بينهم لم يغن عن أحد من الفريقين شيئا، فحينئذ أيقنوا بالخيبة وندموا على مافات منهم في الدنيا وأسروا الندامة في أنفسهم، وكأنهم أسروا الندامة استبقاء للطمع في صرف ذلك عنهم أو اتقاء للفضيحة بين أهل الموقف " [٤] .

فها هنا شعور استحوذ على الفريقين هو الندامة والتحسر على مافات تداركه إذ أدرك هؤلاء وهؤلاء أن هذا الحوار لا يجدي ولا ينجي كلاهما " فلكل جريمته و إثمه . المستكبرون عليهم وزرهم، وعليهم تبعة إضلالهم الآخرين و إغوائهم . والمستضعفون عليهم وزرهم، فهم مسئولون عن اتباعهم للطغاة، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين . لقد كرمهم الله بالإدراك والحرية، فعطلوا الإدراك وباعوا الحرية ورضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولا وقبلوا لأنفسهم أن يكونوا مستذلين . فاستحقوا العذاب جميعا، وأصابهم الكمد والحسرة وهم يرون العذاب حاضرا مهيأ " [٥] .

خامسا : في العذاب

---

(١) نظم الدرر: ٨٧/١٢ .
(٢) وصف القرآن يوم الدين والحساب :١٢١ .
(٣) مشاهد القيامة :١٦٢ .
(٤) التحرير والتنوير : ٢١٠/٢٢ .
(٥) في ظلال القرآن : ٣٣٨٩ .

١- إن الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (القمر ٤٧-٤٨).

إن عمليات استدعاء تمارس على رقعة أرض المحشر على أوسع نطاق، تتبدل عبرها المشاهد و يعاد ترتيب الأدوار، فالوصف هنا قائم بالكلية على استدعاء المواقف الدنيوية، والتداعي يتم التقاط علاماته عبر الألفاظ والمواقف، أما المشهد فتتوزع محاوره من طرف خفي بين زمنين مختلفين ومكانين متباينين: الدنيا والآخرة، فالألفاظ ذاتها منقولة من أفواه المجرمين من ثمود قوم صالح " كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (القمر :٢٣-٢٤) .

تقترن الصورة بالترذيل اللفظي " يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر " إنها الإهانة بكل صورة " تماما مثلما تجر الدواب والمواشي إلى مرابعها رغما عنها، وتزداد الصورة تخويفا و إهانة لكونها تتم في عمق النار، ثم إنهم لا يسحبون قائمين رافعين الرؤوس، بل يلقون على وجوههم ويجرون، وفي ذلك . تحقير للأعضاء زيادة على التحقير الآتي من طبيعة الصورة الحركية ومن المكان الذي تتم فيه" [١].

إن الدلالة النفسية الجوهرية تتبدى في قوله : (وجوههم)، فالوجوه أعز وأكرم ما في الإنسان فالإهانة هنا بالغة والشعور النفسي بها أوقع، هي وجوه لم تسجد في الدنيا، و إنما مارست الكبر و التعالي " وعلى هذا فإن هذه الجزئية في الصورة توضح جانبين مختلفين لهؤلاء المجرمين، وهي تقف في دلالة متصاحبة مع الماضي والحاضر، فالماضي حيث اعتزازهم بالقوة والاستكبار وكثيرا ما يبدو هذا المرض النفسي علي ملامح الوجوه، والحاضر حين يسحبون علي وجوههم في عنف وتحقير" [٢].

أما صيغة المضارع (يسحبون) فتستحضر شعور المعاناة والذلة المتجدد الممتد، فهي تصوير لواقع بدني ونفسي ممض مؤلم مرير مستمر لا عابر ، ومع الأمر (ذوقوا) الصادر عن زبانية الجحيم يبدو الترذيل الساخر ، ومن المعلوم في مجال الأعراف الاجتماعية والظروف النفسية أنه " ليس أمر على النفس من التأنيب والتقريع في حالة الضيق والكرب" [٣] .

أضف إلي كل ذلك اختيار لفظة (سقر) التي هي علم لجهنم و التي تأتي من " سقرته النار وصقرته إذا لوحته" لتأكيد شدة حرقة جهنم ووقعها على النفس ولإغاظة نفوسهم اللئيمة "[٤]، و هي للمجرمين عذاب خاص، لا تقاسمهم فيه سائر فئات الضلال .

٢- ُكل نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (المدثر٣٨ : ٤٧)

يتساءلون / قالوا .. يخلق السرد بهما حوارا مندمجا مع الوصف، و هو جمالية تبعث على بث روح التشويق، و تقوية بنية السرد بتحويل المشاهد إلى عروض، فهو بمثابة لوحة جدارية يستند إليها المشهد، و يستنطق عبرها الشخوص ليغوص بالمفردات داخل مكنونات القضية و حكايات النفس .

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، فضيلة أحمد سعيد :٤٧، أطروحة للماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٣٢/٢٠١١ .
(٢) السابق :٤٨.
(٣) السابق :٤٨.
(٤) الإعجاز الفني في القرآن : ١٥٦ .

إن وصف دواخل الشخصية هنا يكرسه الحوار مع الآخر، حوار يتم عبر قنطرة الزمان و المكان، فضلا عن مكنونات النفس و السلوك، حيث يتم سبر أغوار الشخصية في خطين متوازيين : الدنيا / الآخرة.

تتكلم الشخصية في الحوار بلغتها الخاصة، تعبر عن رؤيتها للأحداث، مبرزة مردودها الانفعالي، في الوقت الذي يتم فيه تنحية دور السارد، ليتوقف خطابه مفسحا المجال بالكلية لخطاب الشخصية، فيصطبغ السرد بصبغة منطقية واقعية .حيث يتم تفعيل تقنية الحوار مع الوصف كوسيلة لتقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية مباشرة من الشخصية الى القارئ، بينما يؤدي الاسترجاع وظيفة الربط وتحديد الأبعاد في حالتي الدنيا والآخرة .

فمع السؤال يفيض وعي الشخصية ضاربا في أعماق الماضي، مستشعرا معطيات الحاضر، ناسجا توقعات المستقبل مؤكدة محققة، كل ذلك في رؤية تتزامن عناصرها تجمعها بؤرة واحدة تمتد خيوطها في وعيه، و قد بلغ قمة الفيض الشعوري الذي تنثال فيه المعاني في تداع، مكرسا وعيا له مجال جديد لا سبيل معه إلى العودة لما كانت عليه الشخصية من قبل .

الوصف هنا مسخر بإمكانياته الجمالية متغلغلا في أعماق الوعي الذهني، يؤدي دورا عميقا في إماطة اللثام عن نوازع الشخصية وسلوكياتها (في الدنيا) بطريقة تجعل الوصف في عمق عملية السرد وجزءا من اجزائه وليس ترفا في مضمار السرد، هو غاية ووسيلة تشترك مع الحوار و الاستدعاء في بناء المشهد، لتتضح خطورة الوصف إذ يؤسس لخلق خطاب باطني يوازي في أهميته الخطاب السردي الظاهري، فالوصف ينقل اللحظات الراهنة ويربطها برباط حريري ناعم بالماضي، بتضافره مع عنصري الحوار و الاستدعاء، عبر تداخل لا تناوب بينهم يضبط تقنيات السرد، و يوقعها موقعها الدقيق بما لا يشكل عبئا على المتلقي .

حيث تسرب الآيات بالوصف الذهني الذي يركز على الجزئيات التي ينمو بداخلها النسيج السردي حالة المجرمين العقلية التي تبني ما بنت من أحكام في لحظتها الراهنة عي واقع تبينته قاطعا محققا (أتانا اليقين) . إن وعاء ذهنيا أخرويا قد أعيد تشكيله تجليه لفظة (اليقين) ينطق بالتحقيق والقطع والثبات الذي تأخر حتى لم يعد يجدي نفعا، ولا يغير قضاء وحكما .

بينما تنطلق الألسنة كاشفة عن المقابل الذهني في الدنيا، إذ يعبر النص عن الانفعال الداخلي للشخصية من خلال المفردات التي تستجلي السلوك، فما وصلوا الخالق (لم نك من المصلين)، فتلك قوة عملية أفسدوها، تبعها إفساد وصل المخلوق بترك الشفقة عليه (لم نك نطعم المسكين)، ولا أهمهم ما هم عليه من الباطل (كنا نخوض مع الخائضين) " إشارة الي عدم اكتراثهم بالباطل ومجاهرتهم به فكأنهم قالوا وكنا لا نبالي بالباطل" [1] وهذا قطع للعقل، فتلك حالة إدمان إذن على الباطل جرتهم إلي غلبة الهزء والسخرية التي " توجب إفساد القوة العملية بتصديق الكذب وتكذيب الصدق (كنا نكذب)، فكأنما يقولون : " صار لنا هذا وصفا راسخا لا نقف مع عقل ولا نرجع إلي صحيح نقل " [2] .

إن لونا من ألوان الارتجاع الفني، و الاستدعاء لأحداث الماضي يتم وسط تسلسل زمني منطقي، بقصد تبرير العقاب من جهة و تجنب وقوعه من جهة أخرى، قام به السرد ليصف المجرمين هنا في لحظة شعور طاغية بخيبة الأمل إذ تقفز إلى المخيلة و تستدعى أحداث ماضية بقصد توضيح المواقف في الزمن الماضي و التي أدت إلي ما هم بصدده في الوقت الراهن، فهم ينخرطون في استدعاء مواقف،

---

[1] روح المعاني: ١٤٧/١٤ .
[2] نظم الدرر : ٧٦/٢١ .

ويسترسلون في ذكر أحداث، هي جملة صور تنساب علي الألسنة تسرب ماضيا وتركز علي مشاهد بعينها بوعي عبر الكلمات، حيث يتم وضع الماضي علي أرضية الحاضر والكشف عن الفجوات المعتمة من خلال البوح، بينما يتوقف الارتجاع عند نقطة التقاء الماضي بالحاضر (حتى أتانا اليقين)، حيث يضمن السرد وضوح التداعيات الذهنية من خلال إيرادها في سياقها الأصلي .

أما نتائج هذا الإعراض و التأبي و الرفض القاطع لأن يسلكوا سبيل الرشاد، فيمثل مقابله هنا عبر الألفاظ الكاشفة عن الحالة النفسية والخواطر التي تستحوذ عليهم في النار، و التي هي مزيج من الشعور بالإهانة والقيد و الارتهان أفصحت عنه (سكلكم) تلك اللفظة التي تتقاطع هنا في سياقها مع نظيرتها في السياق الدنيوي " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين " (الحجر:١٢)، ليرصد المشهد تقابلا من جانب، ويحدد ب" سلك " لون إدخال يحدد المسار، وهو مسار له خصوصيته، ف" سلكلكم : أي أدخلكم إدخالا هو في غايه الضيق حتى كأنكم السلك في الثقب " [١]، فأصل سلك " أدخله في أجزاء شيء حقيقة .. واستعير هنا للزج بهم " [٢]، لتشي الكلمة بالضيق و النكد الذي ترجمه حذف حرف النون مكررا (لم نك)، لقد ضيق عليهم في النار حتى ضاقت أنفسهم ضيقا نطق به اللسان الذي استغنى عن حرف النون .

الوصف هنا يتكفل بتقديم العالم الذهني للمجرم المنفعل بالحدث، والسرد كله بوح تقوم به الشخصية بنفسها، عندما تقوم باستبطان عالمها الداخلي، إن السرد بضمير المتكلم هنا (لم نك) (كنا)، أوقع إذ تروي الشخصية عالمها المأزوم وصفا عن طريق المعلومات المستفيضة، و في إطار تهشيم بنيتي الزمان و المكان، تنطلق عمليات التداعي من المستقبل و تؤوب إلى الماضي الذي هو وقت نزول الوحي حاضرا فتتم جملة تداعيات في مواقع شتى و أزمنة متفاوتة.

٣ - إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ، وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (الزخرف :٧٤-٧٧)

المشهد بأسره تعكسه الكلمات : خالدون / مبسلون / ماكثون، اليأس ناجم عن خلود العذاب، فهم ماكثون لا مجال لديهم لنجاة ولو بالقضاء، إن دائرة اليأس هنا في أقصى حالات الاستحكام، تستحوذ على نفس المجرم بالكلية، لقد تناهى يأسه و تمادى إبلاسه و فاض اغتمامه، وإن حالة الإبلاس التي استهلت بها وقائع الآخرة في صورة المضارع متجددة متحركة " يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون " (الروم :١٢) قرت هنا وصارت صفة ثابتة ملازمة . إن الصيغ الاسمية الثلاث : خالدون / مبسلون / ماكثون تحكم قبضة اليأس " إنه لعذاب دائم وفي درجة شديدة عصيبة، لا يفتر لحظة، ولا يبرد هنيهة، ولا تلوح لهم بارقة أمل في الخلاص منه " [٣]، وإن ظلال الإبلاس لتتجاوب مع ظلال " الظلم " المكرر في الآية ليشيع إيحاء العتمة التي تلف ظاهر المجرم انطلاقا من محتواه النفسي .

يلقي النداء (ونادوا) ظلال الضيق والألم المفزعين " وإننا لنلمح من وراء صرخات الاستغاثة نفوسا أطار صوابها العذاب، وأجساما تجاوز الألم بها حد الطاقة، فانبعثت منها الصيحة المريرة (يا مالك ليقض علينا ربك) ولكن الجواب تيئيس وتخذيل، وبلا رعاية ولا اهتمام : " إنكم ماكثون " فلا خلاص ولا دعاء فإنكم في العذاب مقيمون" [٤] .

و نخلص مما سبق إلى ما يلي :

---

(١) السابق : ٧٣/٢١ .
(٢) التحرير والتنوير : ٣٢٦/٢٩ .
(٣) مشاهد القيامة في القرآن : ١٧٩ .
(٤) السابق : ١٧٩.

أ - أن النص القرآني توفر على قدر هائل من المعطيات النفسية و الذهنية التي تجاوزت حد الانطباعات، بالدرجة التي بدا البعد النفسي فيها مغلفا بنى السرد . و من ثم تم الكشف عن تيار وعي الشخصية الذي هو وسيلة من وسائل فهم العمل السردي، بأبعاده النفسية و تقنياته الفنية.

ب - أنه بفعل المفردة و إعمالها في السرد أمكن التقاط تدفقات وعي شخصية المجرم في خضم المواقف و الأحداث، حيث أمكن تلمس ما للألفاظ من نصيب و شأن في دلالتها الوجدانية، إذ هي وسيلة نقل تفاعلات النفس، بكل ما يعتمل في مطاويها من قوى إدراكية واعية، و دفعات غريزية، و مشاعر و طموحات، و ميول و نزعات . حيث تستجمع جمالية عملية السرد بمقدار ما تحظى به من نجاح في مستويات تأثيرها على المتلقي .

ج - تم ذلك من خلال رصد عدة سمات تيارية داخلت السرد من مثل انعدام الاستمَرارية، و الدرامية، و الدينامية، و تعددية الأصوات، كان لها دورها البارز في بناء و تشكيل السرد، و ملامسة العالم الداخلي و تشريح الشخوص .

د - توقفت الدراسة في مناطق كثيرة لإبراز كيف تستثمر المشاهد الفضاء السيكولوجي و الزمان السيكولوجي، أو نسبية الزمان و المكان و تسخرهما لتصوير طبيعة العمليات الذهنية و تباينها حد التناقض داخل الشخصية، وسط عمليات مونتاج فني عديدة، وإعمال لتقنيات الوصف والمناجاة والمونولوج و الحوار و التداعي ..

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

١. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٨٠ .
٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
٣. أبو الحسن الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تقديم و تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة.
٤. أبو الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني،دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ /١٩٩٤ .
٥. أحلام حادي، جماليات اللغة في القصة القصيرة (قراءة لتيار الوعي في القصة القصيرة السعودية)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤ .
٦. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة و النشر .
٧. أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧.
٨. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط ٢، ١٤١٩/١٩٩٩.
٩. أنريكي أندرسون أبرت، القصة القصيرة بين النظرية و التطبيق، ترجمة علي إبراهيم منوفي، مراجعة صلاح فضل، المشروع القومي للترجمة، د . ت .
١٠. برهان الدين أبو الحسن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
١١. بسام خلف سليمان، الحوار في رواية الإعصار و المئذنة لعماد الدين خليل (دراسة تحليلية)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، عدد١٣.

١٢. بول ريكور، الزمان و السرد، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط٢، ٢٠٠٦ .
١٣. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز منشورات آثار المصطفوي، طهران، إيران، ط١، ١٩٨٥ .
١٤. حمودة السعفي، حقيقة الإيمان في الإسلام، مجلة الهداية، عدد٢٥،شعبان١٤١٤/ديسمبر١٩٩٤.
١٥. الخطابي، بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨ .
١٦. خلف عايد الجرادات، الترادف الدلالي بين صيغتي افتعل و تفاعل،(بحث)، المجلة الأردنية في اللغة العربية و آدابها، مجلد ٩، عدد ٤، ٢٠١٣.
١٧. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨.
١٨. روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمه و قدم له وعلق عليه محمود الربيعي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ .
١٩. روجر ب هينكل، قراءة في الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة صلاح رزق، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، ٢٠٠٥ .
٢٠. الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ١٣٩٩،١٩٧٩ .
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
٢١. زين حسين أحمد ياسين، ألفاظ أحوال النفس و صفاتها في القرآن الكريم، أطروحة للماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩ .
٢٢. زينب جمعة جاسم الساعدي، الألفاظ الدالة على الكذب (دراسة إعلامية)، مجلة الباحث الإعلامي، عدد ٣٦، العراق .
٢٣. سعدية مصطفى محمد، دلالة الفعل دخل في القرآن الكريم (دراسة سياقية)، مجلة فيلولوجي، مجلد ٣٣، يونيو ٢٠١٦ .
٢٤. سعيد حوي، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، حلب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ .
٢٥. السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ .
٢٦. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ٣٢، ٢٠٠٣ .
ـ مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، ط١٩، ٢٠٠٦ .
٢٧. السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود و الرسوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة .
٢٨. شارف مزاري، مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١ .
٢٩. شكري محمد عياد، من وصف القرآن (يوم الدين و الحساب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٢.
٣٠. الصالح لونيسي، تيارالوعي في رواية التفكك لرشيد بو جدرة، أطروحة للماجستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، العام الجامعي ٢٠١١/ ٢٠١٢ .

٣١. صبيحة عودة زغرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي (غسان كنفاني)، دار مجدولاي للنشر، ٢٠٠٥ .
٣٢. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ١٩٨٠ .
٣٣. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ .
٣٤. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٩٨.
٣٥. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي المؤسسة الغربية للدراسات و النشر، بيروت، ط١،٢٠٠٥ .
٣٦. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧ .
٣٧. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة و ليلة (دراسة سيميائية لحكاية حمال بغداد) ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣ .
- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، الكويت، ١٤١٩/ ١٩٨٨ .
٣٨. عز الدين إسماعيل، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، ط ٦ .
٣٩. عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم عبد الله، تونس، ١٩٨٠.
٤٠. فضيلة أحمد سعيد، مشاهد القيامة في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، أطروحة للماجستير، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٤٣٢/ ٢٠١١ .
٤١. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦/٢٠٠٥ ..
٤٢. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، المطبعة المليجية، القاهرة، ١٩٣٥ .
٤٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ١٣٧٢ / ١٩٥٢ .
٤٤. مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت،ط٢، ١٩٨٤.
٤٥. محمد بن أبو بكر الرازي، معجم مختار الصحاح، الكويت، ١٩٨٢ .
٤٦. محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، دار الفكر العربي .
٤٧. محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،ط ١، ١٩٨١.
٤٨. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
٤٩. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣.
٥٠. محمد متولي الشعراوي ؛ خواطري حول القرآن الكريم ؛ نشر أخبار اليوم ؛١٩٩١ .
٥١. محمد بن يونس، مبادئ علم النفس، دار وائل للطباعة و النشر، ردمك، ٢٠٠٢.
٥٢. محمود الحسيني ؛ تيار الوعي في الرواية المصرية ؛ الهيئة العامة لقصور الثقافة ؛ القاهرة .
٥٣. محمود غنايم، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دار الهدى، كفر قرع، ط ٣، ٢٠١٧.
٥٤. نجاح سراج، التقاء الأدوات الفنية بين القص القرآني و القصة الحديثة، مجلة آداب و فنون، موقع آداب و فنون، ١٦ -٤- ٢٠٠٦.

Sources and references

The Holy Quran

1) Abd al-Latif Mahfouz, The Function of Description in the Novel, Dar al-Yusr for publishing, Morocco 1998
2) Abd al-Malik Murtada, One Thousand and One Nights (a semiotic study of the story of a porter of Baghdad), Diwan of University publications , 1993 . In the theory of the novel (research in the techniques of narration), the Kuwaiti World of Knowledge series, Kuwait, 1419/1988
3) Abd al-Qaher al-Jurjani, Evidence for Miracles in the Science of Meanings, edited by Abd al-Hamid Hindawi Scientific Books House, Beirut, 1st edition, 2001.
4) Abdullah Ibrahim, Encyclopedia of Arabic Narration, Western Institute for Studies, full text: 130181 - Beirut,.1st edition 2005
5) Abdullah Sawlah, Al-Hajjaj - the Qur'an through its stylistic characteristics, Dar Al-Farabi. Beirut, 2007. Abdullah bin Qutayba, Interpretation of Gharib Al-Qur'an, edited by Al-Sayed Ahmed Saqr, Scientific Books house , Beirut, 1978
6) Abu al-Fadl Shihab al-Din al-Alusi al-Baghdadi, Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa'l-Saba' al-Matani, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1415/1994
7) Abu al-Hasan al-Kateb al-Burhan fi Wujuh al-Bayan, presented and edited by Hifni Muhammad Sharaf, Youth Library, Cairo
8) Ahlam Hadi, Aesthetics of Language in the Short Story (A reading of the Stream of Consciousness in the Saudi Short Story), Arab Cultural Center, Morocco. 1st edition 2004
9) Ahmed bin Faris, Dictionary of Makaees El Logha. Investigated by Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr for printing and publishing
10) Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Maqri- Al-Misbah Al-Munir in Gharib Al-Sharh Al-Kabir by Al-Rafi'i. Lebanon Library, 1987
11) Ahmed Yasouf, The Aesthetics of the Qur'anic vocabularies , Dar Al-Maktabi, Damascus, Syria, 2nd edition - 1999/1419
12) Al-Fayrouz Abadi, Al-Qamos Al-Muheet, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution Beirut, Lebanon, 8th edition. 2005/1426
13) Al-Khattabi, Explanation of the Miracle of the Qur'an, printed within the book (Three Messages in the Miracle of the Qur'an) investigated by Muhammad Khalaf Allah Ahmed, Muhammad Zaghloul Salam, Dar al-Ma'arif, Cairo, 5th edition, 2008
14) Al-Qurtubi, The Collector of the Rulings of the Qur'an, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1372/1952.
15) Al-Ragheb Al-Isfahani, Vocabulary in the Gharib Al-Qur'an, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut, edition 1.2008.
16) Al-Saleh Louaisi, The Stream of Consciousness in the Disintegration Novel by Arachid Bou Jadra, a master's thesis in modern Algerian literature, Faculty of Arts, Haj Lakhdar University, Batna, University year 2011/2012

17) Al-Sameen Al-Halabi, Umdat Al-Hafiz fi Tafsir Ashraf Al-Alfaz, investigated by Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Alamia, Beirut, 1st edition, 1996
18) Al-Suyuti, Lexicon of the Commandments of Science in Borders and Drawings, investigation by Muhammad Ibrahim Ubadah, 1st edition, Library of Arts, Cairo
19) Al-Zamakhshari, Basis of Rhetoric, Dar Sader, Beirut, 1399, 1979 AL kashaf for realities of revelation and eyes of saying in the faces of interpretation , dar al maerefa , Beirut , 1st edition ,2009
20) Bassam Khalaf Suleiman, Dialogue in the Novel of the El Eesar and Al Mezana by Imad al-Din Khalil (analytical study), Journal of the College of Islamic Sciences. Number 13
21) Burhan Al-Din Abu Al-Hassan Omar Al-Biqai –Nozom Al-Durar in the Proportion of Verses and chapters , Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo
22) Enrique Anderson Albert. The short story between theory and fact , translated by Ali Ibrahim Menoufi, review by Salah Fadl, the National Project for Translation. D . T
23) Fadila Ahmed Saeed, Scenes of Resurrection in the Holy Qur'an (literary study), Master's thesis, faculty of Arts, University of Mosul, 1432/2011
24) Hamouda Al-Saafi, The Truth of Faith in Islam, Al-Hidaya Magazine, Issue 25 - Shaaban 1414/December 1994
25) Hassan Al-Mustafawi, Investigating the Words of the Holy Qur'an, Athar Al-Mustafawi Publications Center, Tehran, Iran, 1st edition, 1985
26) Ibn Manzoor, Lisan al-Arab, Dar Sader Beirut, 1st edition, 2002
27) Ibrahim Fathi, A Dictionary of Literary Terms, Dar sharkiat , Cairo, 1980
28) Izz al-Din Ismail, Literature and its Arts, Dar al-Fikr al-Arabi, 6th edition.
29) Khalaf Ayed Al-Jaradat, The Semantic Synonymy between the Forms of "Efftal" and "tafaoual" (study), The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature. Volume 9 - No. 4, 2013.
30) Mahmoud Al houseni , The Stream of Consciousness in the Egyptian Novel The Egyptian General Authority for Cultural Palaces, cairo
31) Mahmoud Ghanayem, The Stream of Consciousness in the Modern Arabic Novel, Dar Al-Huda, Kafr Qara, 3rd Edition 2017.
32) Majdi Wahba and Kamel Al-Mohandes, A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature Lebanon Library, Beirut, 2nd edition, 1984
33) Muhammad Abu Zahra, Zahret El tafaseer , Islamic Research Academy, Al-Azhar, Dar Al-Fikr El Abeaby
34) Muhammad Al-Razi Fakhr Al-Din, The Great Interpretation, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution,1st edition 1981
35) Muhammad Al-Taher Bin Ashour, Interpretation of Liberation and Enlightenment, the Tunisian Publishing House, 1984.
36) Muhammad bin Abu Bakr Al-Razi, Mukhtar Al-Sahih Dictionary, Kuwait. 1982
37) Muhammad bin Younis, Principles of Psychology, Dar Wael for Printing and Publishing, ISBN 2002.
38) Muhammad Ghoneimi Hilal. Modern Literary Criticism, Dar Al-Thaqafa, Dar Al-Awda, Beirut.1973

39) Muhammad Metwally Al-Shaarawy, My Thoughts on the Holy Qur'an, Akhbar Al-Youm publication, 1991.
40) Najah Siraj, The Convergence of Artistic Tools between Qur'anic Storytelling and Modern Story, Journal of Arts, Arts website. 16-4-2006
41) Omar Al-Salami, Technical Miracles in the Holy Qur'an, published and distributed by Abdul Karim Abdallah Institutions, Tunisia, 1980
42) Paul Recro, Time and Narration, translated by Falah Rahim, United New Book House, 2006.2 edition
43) Qudamah bin Jaafar criticized of El saar. Al-Meligia Press, Cairo.
44) Robert Humphrey, The Stream of Consciousness in the Modern Novel, translated and presented and commented by Mahmoud Al-Rubaie, Dar Gharib for printing, publishing and distribution, Cairo, 2000
45) Roger B. Hinkel, Reading in the Novel (Introduction to Interpretation Techniques), full text: 130181 Rizk, Dar Gharib for printing and publishing. Cairo . 2005
46) Saadia Mustafa Muhammad. The indication of the verb –entered- in the Holy Quran (a contextual study)- Philology Journal, Volume 33, June 2016
47) Sabeha Aoda Zagreb, The Aesthetics of Narration in the Narrative Discourse (Ghassan Kanafani), Dar Majdoulay Publishing, 2005
48) Said Hawa, the Basis of Interpretation, Dar Al-Salam for Printing, Publishing, Distribution, and translation, Cairo, Aleppo, Beirut, 1st edition, 1985
49) Salah Fadl, Theory of Constructivism in Literary Criticism, Dar Al-Shorouk, 1980. 33- Tabatabaei, Muhammad Hassan, Al-Mizan in the interpretation of the Qur'an, Al-A'la Publications Beirut, 1st edition 1997.
50) Sayyid Qutb in the shadows of the Qur'an, Dar Al-Shorouk, edition 32nd , 2003. (Scenes of the Resurrection in the Qur'an, Dar Al-Shorouk, edition 19th , 2006
51) Sharif Mazari, Levels of Miraculous Narration in the Quranic Story, Publications of Arab union book . Damascus 2000
52) Shukri Muhammad Ayyad, From the Description of the Qur'an (on the Day of Judgment and Reckoning), The Egyptian General Book Organization, Family Library 2012
53) Zain Hussein Ahmed Yassin, Expressions of the conditions of the soul and their attributes in the Holy Qur'an. Master's thesis, An-Najah National University, Nablus. Palestine . 2009.
54) Zainab Juma Jassim Al-Saadi, Expressions Indicating Lying (Media Study), Journal of Media Researcher, No. 36, Iraq.

One of the attractiveness Quranic syllabus (reading in the awareness trend in the Holy Quran)
"Convicts" in Model

Sahar Fathy Hegazy
Assistant Professor of Allegory and Criticism in Arabic Department
Faculty of Arts / Helwan University
Saharhegazy91@Gmail.Com

Abstract

This research is about the quranic syllabus in the dictionary elements and put them the context to be vigorous as the beauty of this syllabus is from a heavenly source and the words are in similar verses. The research is upon the beauty of the utterances of the sentences as a tool for it as it is bright on the levels of the speech with the purpose of exploring the psychological attitude of the characters that means the pattern of the artistic verdict of the awareness trend. Through an immersive view to declare this trend in the Quranic text , the observer can reach colours of description and freelance thought and monologue and the mechanism of the time acceleration as this techniques as a methods of emerging the internal humane experience and patterns of the continuous thoughts and feelings , free from the traditional coherence conditions that widen the symbol field as it depends on the awareness of the receiver and his ability to receive words and explain its symbols and reaching the hidden links. The "Convicts" category was elected and this is the most misleading category as it started in the Quranic text as a model for inspection and application.

key words: attractiveness Quranic syllabus / awareness trend / Quranic narrative / convicts / in the life / in the after life.